روايات مصرية للجيب





الأيقونة الصفراء

١ ـ معبد الشيطان ..

(ريجونا) .. دولة صغيرة المساحة ، يبلغ تعداد سكانها مليونًا ونصف المليون نسمة ، وهى إحدى دول (أمريكا الوسطى)(★) ، وهى دولة تجمع ما بين سمات التقدّم والتخلّف ، فى آن واحد ، فعلى الرغم من أن عاصمتها (لارونا) ، تضارع أكبر العواصم الأوربية ، وتتميّز بالحداثة والتقدّم ، فى مجالات عديدة ، إلا أن غالبية المناطق الأخرى ، داخل الدولة ، تعيش فى فقر مدقع ، وتعانى مظاهر التخلف .

ففى الجنوب صحراء مترامية الأطراف ، لم تجد أية محاولات لتعميرها ، عدا تلك المناطق القليلة ، التى ظهرت فيها بعض الكشوف البترولية ، والتى تخضع لسيطرة الشركات الأجنبية .

وفى الشمال بعض القرى الصغيرة المتناثرة ، التى يعيش سكانها تقريبًا ، تحت خط الفقر ، دون رعاية أو عناية من الحكومة المركزية ، وإلى جوارهم أدغال كثيفة متشابكة

(★) ملحوظة : اسم الدولة والأحداث المذكورة ، هى من وحى خيال المؤلف ، ولا صلة لها بالحقيقة . واى تشابه بينها وبين أماكن حقيقية ، أو أحداث حقيقية ، هو محض مصادفة .

الأشجار ، تبدو رهيبة المظهر ، منيعة أمام أى مستكشف ، أو مغامر يفكّر فى اقتحامها ..

كان الثراء الفاحش والرفاهية الحقيقية يتركزان فى العاصمة ، حيث توجد حكومة عسكرية ، جاءت إثر انقلاب ، سبقته عدة انقلابات أخرى ، أطاحت بحكومات مختلفة ، إلى أن أستقر الأمر فى النهاية للجنرال (خوزيه) ، الرجل القوى فى (ريجونا) ، والذى يسيطر على مقاليد الحكم فى الدولة ، منذ عشر سنوات متتالية ، وهى أطول فترة لحاكم ، جاء إثر انقلاب ، من تلك الانقلابات العديدة ، التى توالت على (ريجونا) ..

واستطاع (خوزيه) أن يحكم قبضته على الدولة ، بوساطة جهاز أمن قوى ، وجيش مسلّح تسليحًا جيدًا ، ويدين له بالولاء .

وسيطرت عليه فكرة واحدة ، هى أن يجعل من (ريجونا) دولة قوية ، عسكريًا وتكنولوجيًا ، وأن يكون هذا هو هدفه الأول ، من خلال حكمه للبلاد .

لذا فقد كان اقتصاد بلاده موجّهًا ـ بالدرجة الأولى ـ لتحقيق هذا الهدف . دون أية اعتبارات أخرى ، ودون اهتمام

حقيقى برخاء شعبه ، وتسخير هذا الاقتصاد لصالح الغالبية من السكان ، الذين يعانون ويلات الفقر والتخلف ..

ولم يكن هناك من يضارع (خوزيه) فى قوته ، سوى شخص واحد ، يدعى الكاهن (جوس) ، ويدعوه أعوانه أحيانًا بكاهن معبد الشيطان ، حيث كان يقيم بمعبد حقيقى ، بناه بعض الهنود القدامى ، فى منطقة نائية داخل الأدغال ، واستطاع (جوس) أن يسيطر على مئات من الوثنين ، الذين يعيشون فى الأدغال ، ويحوّلهم الى أتباع له ، ويسخرهم لخدمته ، والخضوع لأمره ، بما له من صفات خاصة غريبة ، وقدرة خارقة ، على التأثير فى الآخرين ، بعد أن أدخل فى روعهم أنه يقوم بدور الكاهن لخدمة الشيطان ، وفقًا لطقوس وتقاليد شيطانية غريبة ، تراق فيها الدماء ، وتسيطر عليها حالة من الهوس ، الذى يستخدمه ذلك الكاهن المخيف ، فى السيطرة على أتباعه ، وكان (جوس) يسيطر على الأدغال ، والقرى التى تجاورها ، بما له من سلطان وأتباع ، وباستخدام تلك المعتقدات الخرافية ، التى تهيمن على عقول هؤلاء البسطاء ورجال القبائل . فكانت تُقدّم له القرابين والهدايا ، اتقاءً لشره ، واعتقادًا فى قوته وسلطانه ، ومن بينها هدايا من الذهب والأحجار الكريمة ، التى كان البعض يرتكب

الجرائم فى سبيل الحصول عليها ، وتقديمها له فى معبده ..

ولم يحاول (خوزيه) القضاء على (الكاهن) وأتباعه لعدة أسباب :

أوّلا ـ لأنه لم يكن مهتم أصلا بتلك (الأحراش) المتوحشة ، التى كان يعتبر سكانها من القبائل الهمجية ، ولم يكن ليهتم بإدخال شىء من المدنية والحداثة إلى هذه المناطق ، وقد حصر كل اهتمامه فى مشاريعه العسكرية ، التى كانت تحتل المكانة الأولى فى تفكيره ..

ثانيًا ـ لأن أعوانه نقلوا له صورة واضحة ، عن قوة الكاهن وأتباعه ، وسيطرته على تلك الأدغال والقرى المحيطة بها ، إلى حد الإيمان به وبقوته الخارقة ، وأفهموه أن محاولة القضاء عليه قد تثير ضده رجال القبائل والفلاحين ، وهو ما يتعارض مع أهدافه فى المرحلة الحالية ..

ثالثًا ـ لأن (جوس) لم يحاول التصدّى لسلطة (خوزيه) فى العاصمة ، أو يثير ضده القلاقل بهيمنته على الأدغال والقرى المجاورة ، وما يعود عليه من نفع بإخضاع السكان فى تلك المناطق لنفوذه ..

وقد أوفد الأزهر الشريف ، من خلال اتفاقية وُقّعت بين (مصر) و (ريجونا) ، أحد علمائه ؛ لنشر تعاليم الدين

الإسلامى فى تلك المناطق الوثنية ، التى لا يدين أهلها بأى دين ، إذ أنه وعلى الرغم مما عرف عن (خوزيه) من قسوة وديكتاتورية ، إلا أنه لم يكن متعصبًا دينيًا ، ولا يعنيه فى شىء محاولات الطوائف الدينية المختلفة ، لنشر عقيدتها فى تلك المناطق الوثنية من بلاده ، إذا كان ذلك سيحقق له أهدافًا اقتصادية أو عسكرية أو حتى سياسية من وراء السماح بإرسال مبعوثين ورسل ؛ لنشر تعاليم هذه الأديان ، وعلى الرغم من كونه مسيحيًا كاثوليكيًا ، إلا أنه لم يكن متدينًا بأى حال من الأحوال ..

وفى إحدى القرى ، المتاخمة لأدغال (ريجونا) أقام الشيخ (عبد الله) ، الذى عاش حياة خشنة بسيطة ، فى أحد الأكواخ الفقيرة ، مكرسًا نفسه لهدف واحد ، وهو نشر الدين الإسلامى فى تلك المنطقة ، التى تبعد آلاف الأميال عن وطنه ، وهداية أهلها وإنقاذهم من الوثنية والجهل ، الذى تسبّب حكام البلاد السابقون فى تعميقه ..

وواجهت الشيخ (عبد الله) صعوبات هائلة فى حياته ، فى ذلك المكان البعيد تمامًا عن المدينة ، يصحبه مترجم من سكان (ريجونا) ، درس وتعلّم فى (الأزهر الشريف) ، وواجه فى البداية مقاومة عنيدة ، ومعاملة سيئة للغاية ، من

أهل هذه المناطق ؛ لمحاربة دعوته ، ولكن إيمانه القوى بعقيدته ورسالته ، وبالإضافة لشخصيته السمحة المؤمنة والمثابرة ، مكنته من مواجهة هذه التحديات ، والتغلّب على جميع الصعوبات ، التى اعترضت دعوته للدين الإسلامى ، ومحاربة الوثنية ، ولم يلبث كفاحه أن بدأ يأتى بالثمار المرجوة ، فبدأ البعض يعتنق الدين الإسلامى تدريجيًا ، ثم توالى دخول الكثيرين فى هذا الدين السمح الحنيف ، ودخلت قرى بأكملها ، وبعض رجال القبائل المنتشرة فى الأدغال ، والذين كانوا يجهلون أى شىء عن الأديان ، ويعيشون فى ظل الوثنية ، يدخلون فى الدين الإسلامى ، وأدّى هذا إلى التمرد على نفوذ الكاهن (جوس) وأتباعه ، أمام قوة وسماحة هذا الدين الجديد ، الذى حمل لواءه فى هذه المناطق الشيخ (عبد الله) ، وأدّى هذا إلى غضب (الكاهن) ، فأمر بمحاربة هذا الدين الجديد ومن يعتنقونه ، والانتقام من كل من يمتنع عن تقديم القرابين لمعبد الشيطان ، ويحاول التمرّد على سلطة (جوس) ..

وفى إحدى الليالى ، وبينما كانت إحدى هذه القرى ، التى اعتنق أهلها الدين الإسلامى على يد الشيخ (عبد الله) ، تقيم صلاة العشاء يؤمّهم أحد أهالى القرية ، إذا بالانفجارات

تتوالى ، والحرائق تشتعل ، ورجال كثيرون يقتحمون القرية الآمنة ، وهم يضعون على وجوههم أقنعة الشياطين ، ليجروا مذبحة مروعة قُتِل فيها العشرات ، وأصيب فيها المئات ، وعلى جسد كل ضحية منهم علامة الشيطان ..

ووقف الشيخ (عبد الله) فى اليوم التالى ، يخطب فى أهالى إحدى القرى المجاورة ، والتى استضافت أولئك الناجين من المذبحة ، التى ارتكبها أعوان الكاهن ، قائلًا :

- ذلك الرجل ، الذى يتخذ من الشيطان حاكمًا له ، والذى يريد أن يحارب دينكم الجديد ، بعد أن هداكم الله للإسلام ، لن ينجح فى ردّكم عن دينكم ، طالما تمسكتم به ، وقاومتم خوفكم منه ومن أتباعه ..

لقد قام زبانيته أمس بارتكاب مذبحة مروعة ، قضى فيها على جيران لكم ، مسلمين مثلكم ، آمنين مسالمين ، بهدف إثارة الرعب والفزع فى نفوس الآخرين ، وردهم عن دينهم ، وإعادتهم إلى وثنيتهم ؛ ليعودوا فيقدموا القرابين والهدايا إلى معبد الشيطان ، ويسلموا قيادهم مرة أخرى إلى ذلك الكاهن الشرير ، ولكننى واثق أنكم لن تتراجعوا عن دينكم ، ولن تستسلموا لشرور ذلك الكاهن ، مهما ارتكب من مذابح ،

وأثار من فظائع ، فهو يفعل ذلك لأنه هو الذى يخاف منكم ، ويخشى من ذلك الدين على نفوذه وسلطانه ..

إنكم الآن ضعفاء ، لأن عددكم ما زال صغيرًا ، ولأنكم متفرقون ، ولأنكم مترددون ، بين الدين الذى أعاننى الله لأهديكم إليه ، وبين خوفكم من ذلك الكاهن ، خاصة بعد المذبحة التى تعرض لها إخوانكم .. ولكنكم لو اتحدتم ، وطردتم الخوف من قلوبكم ، فلن يستطيع ذلك الكاهن الشرير أن يلحق بكم أدنى أذى ، ولن يمكنه أن يردكم عن دينكم ، بل ستقضون أنتم عليه ، وستتحررون من سلطانه ونفوذه .

وتحدث أحد الأهالى ، قائلًا :

ـ ولكن يا شيخ (عبد الله) ، هذا الكاهن يمتلك قوة سحرية ، لا قبل لنا بالتصدى لها ، وتتبعه مئات من الأشرار ، الذين يمتلكون الأسلحة النارية ، ولن نستطيع أن نقاوم هذا الساحر وأعوانه ، بأى حال من الأحوال .

ونظر إليه الشيخ (عبد الله) ، قائلًا بصلابة :

ـ وهذه هى مشكلتكم .. إنكم تخافونه ، وهو يستغل خوفكم هذا .. إنه يعرف أنكم تخافونه ، ويستخدم أعوانه فى نشر الخرافات حوله ، لإجباركم على طاعته ، والخضوع لسلطانه ، أما عن قوته ، فيمكنكم التصدى لهذه القوة ، لو اتحدتم جميعًا وقاومتموه ..

إن حكومتكم تخلت عنكم ، وتركت هذا الرجل يمارس ألوان الشر والبلطجة فى هذه المنطقة ، دون أن تقدم لكم يد العون والمساعدة ، وما دام الأمر كذلك ، فلن يواجه شرور هذا الكاهن سواكم .

وفى هذه اللحظة ، وبينما كان الشيخ (عبد الله) يواصل خطبته ، تسلل بعض الأشخاص ، من أصحاب الأقنعة الشيطانية ، إلى القرية ، وفى أيديهم المشاعل ، وأخذوا فى إحراق الأكواخ الخشبية التى يسكنها أهالى القرية ، واشتعلت الحرائق فى كل مكان ، ليفاجأ بها أهالى القرية الآمنة ، وسرعان ما تكررت نفس أحداث مأساة المذبحة السابقة ، إذ دوت الرصاصات فى كل مكان ، وسقط العشرات ، وحاول الشيخ (عبد الله) التصدى للمعتدين ، ولكنه تلقى ضربة قوية على رأسه من الخلف ، غاب إثرها عن الوعى ، وعندما استرد وعيه ، وجد نفسه راقدًا على الأرض بجانب إحدى الأشجار وإلى جواره أحد أصحاب الأقنعة الشيطانية ، فقال فى وهن :

ـ ما الذى حدث ؟ أين أنا ؟

ردَّ عليه صاحب القناع الشيطانى ، قائلًا :

ـ اطمئن يا شيخ (عبد الله) نحن الآن بالقرب من الطريق



أجابه صاحب القناع الشيطانى ، وهو ينزع القناع عن وجهه ، قائلًا :
ـ نعم .. وأنا أعتذر عن ذلك ..

المؤدى إلى المدينة .. إننا بحاجة لبعض الراحة فقط ، ثم نواصل مسيرتنا ، فقد اضطررت لحملك كل هذه المسافة ، من القرية إلى هنا ، بعد أن اضطررت إلى ضربك على رأسك ، وإفقادك الوعى ، حتى يمكننى مساعدتك على الهروب ، من المذبحة التى تعرّضت لها القرية .

الشيخ (عبد الله) :

ـ إذن فأنت الذى ضربتنى على رأسى ، وتقول : إنك فعلت هذا من أجل مساعدتى ؟!.. إننى لا أفهم ذلك ؟

أجابه صاحب القناع الشيطانى ، وهو ينزع القناع عن وجهه ، قائلًا :

ـ نعم .. وأنا أعتذر عن ذلك .. ولكننى كنت مضطرًا ، فقد كنت أعرف أنك لن توافقنى على الهرب ، وستصرّ على البقاء إلى جوار أهالى القرية ، وهم يتعرضون للعدوان ، الذى ارتكبه رفاقى من أتباع الكاهن ، ولم أجد أمامى وسيلة سوى إفقادك الوعى ، حتى يمكننى الفرار بك من هذا الجحيم ، الذى تعرضت له القريةّ ، ولم يكن يمكننى أن أفعل سوى ذلك .

الشيخ عبد الله :

ـ ولكن لماذا يساعدنى شخص مثلك ، والمفروض أنك أحد أتباع ذلك الشيطان ، الذى يدعو نفسه بالكاهن ؟

أجابه الرجل ، وهو ينظر إليه باحترام وتقدير :

ـ لأننى أسلمت على يديك ، ولم أعد تابعًا لهذا الشيطان ، بأى حال من الأحوال .

ونظر إليه الشيخ (عبد الله) ، بمزيج من الدهشة وعدم التصديق ، فى حين واصل الرجل حديثه ، قائلًا :

ـ لا تندهش يا شيخ (عبد الله) .. لقد زرت إحدى القرى ، التى كنت تمارس فيها دعوتك ذات مرة ، دون هذا القناع بالطبع ، واستمعت إليك ، فوجدت فى حديثك عن الإسلام شيئًا ما ، تسلّل إلى قلبى ، ودفعنى إلى الاختلاط بالأهالى ، الذين تتحدث إليهم مرات عديدة ، حتى رسخ الإسلام فى قلبى ، واستقر فى وجدانى .

الشيخ (عبد الله) :

ـ ولكنك كنت شريكًا فى ذلك العدوان الهمجى ، الذى تعرض له أهالى القرية .

رد عليه الرجل ، قائلًا :

ـ لم أكن من القوة ، بحيث أخالف أوامر (الكاهن) ، وأرفض مشاركة الآخرين فى الهجوم على القرية ، ولكنى أقسم لك إننى تظاهرت بذلك فقط ، ولم تمتد يدى لأى شخص منهم ، مثلما فعل الآخرون .

قال الشيخ (عبد الله) ، وملامح الحزن والغضب مرتسمة على وجهه :

ـ كان يمكنك ـ على الأقل ـ أن تساعد الآخرين على الهرب ، كما ساعدتنى .

قال الرجل :

ـ لم أكن أستطيع .. كانوا سيقتلوننى .

الشيخ (عبد الله) :

ـ إن الإسلام يدعوا إلى الشهادة :

قال الرجل :

ـ كما قلت لك .. لم أصل لهذه الدرجة من القوة بعد .. كان كل ما يهمنى هو نجاتك أنت .. فلو كانوا قتلوك ، لكانت دعوتك قد انهارت فى هذه المنطقة ، بعد أن تخلو الساحة لـ(جوس) وأعوانه ..

لقد انحصر همى فى مساعدتك على الهرب ، وانتهزت فرصة انشغال الآخرين ، فى عدوانهم على القرية ، للهرب معك من طغيان (جوس) .

ونهض الشيخ (عبد الله) من رقدته ، قائلًا فى تصميم :

ـ ولكننى لن أهرب .. يجب أن أعود ؛ لمساعدة هؤلاء المساكين ، والتصدّى لشر ذلك الكاهن .

قال الرجل بتوسل :

ـ ولكن يا شيخ (عبد الله) ، الكاهن مصمم على قتلك ، والتخلص منك ، والآمال معقودة على أن تمارس دعوتك فى هذا المكان ، ولكن فى الوقت المناسب ، إن مهمتى أن أحافظ على حياتك ؛ لتعود إلى هذا المكان وهو أقل خطرًا ، فالكاهن ثائر الآن ؛ ويريد رأسك بأى ثمن .

قال الشيخ (عبد الله) بصلابة :

ـ إننى لا أخافه .

ورد عليه الرجل ، قائلًا :

ـ ولكن نحن نخاف عليك .. إننى أدبّر أمرًا ، وبحاجة لوجودك حيًا ، حتى ينجح هذا الأمر .

وفى هذه اللحظة ، انطلقت عدة صرخات مفزعة ، وظهر إثنان من أعوان (جوس) ، بأقنعتهم الشيطانية ، وانطلقت رصاصات أسلحتهم فى اتجاه الرجل والشيخ (عبد الله) ، فاحتمى الشيخ (عبد الله) بأحد جذوع الأشجار ، فى حين أصابت الرصاصات عدة أماكن متفرقة من جسد الرجل ، الذى تناول بندقيته الآلية ، الموضوعة إلى جواره ، ليطلق رصاصاتها بدوره ، فى اتجاه الرجلين ، فأرداهما قتيلين ، واندفع الشيخ (عبد الله) فى اتجاه الرجل ، محاولًا البحث

عن وسيلة لمداواة جروحه ، ولكن الرجل قال ، وهو يعانى سكرات الموت :

ـ لا تتعب نفسك يا شيخ (عبد الله) .. لقد انتهى الأمر بالنسبة لى ؛ فقد تمكنوا منى ..

المهم أنت .. يجب أن تهرب الآن ، وتعود فى وقت لاحق .. هناك حركة مقاومة سرية تنظم فى مراحلها الأولى ؛ لمقاومة نفوذ (الكاهن) وأعوانه ، والخلاص من شروره ، وهى مكوّنة من بعض أهالى القرى ورجال القبائل ، فى غابات (ريجونا) ، وعندما تقوى هذه الحركة ، يجب أن تعود لتستمر فى ممارسة دعوتك .

ومد يده إلى جيبه ، ليخرج منها أيقونة صفراء فى سلسلة ذهبية ، قائلًا :

ـ والآن خذ هذه .. احتفظ بها ، ولا تسمح للكاهن أن يضع يده عليها أبدًا ، ونظر الشيخ (عبد الله) إلى الأيقونة ، قائلًا :

ـ ما هذه ؟

وأجابه الرجل بصوت متحشرج :

ـ إنها الأيقونة السحرية .. الكاهن يستخدمها دائمًا للتأثير على أتباعه وعلى الآخرين ، ففيها قوة سحرية هائلة .

الشيخ (عبد الله) .

- إننى لا أصدق ذلك .

وقال الرجل ، وقد تعالت حشرجته :

- أرجوك يا شيخ (عبد الله) .. صدقنى .. لقد ذكرت ذات مرة أن السحر موجود ، وأنه مذكور فى القرآن الكريم ، وهذه الأيقونة هى أعتى أسلحة الكاهن .. لقد تمكّنت من سرقتها منه ، قبل الحضور إلى القرية ، والتفكير فى مساعدتك على الهرب ، وأنت الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يحافظ عليها ، بعيدًا عن متناول ذلك الشيطان .

تناول الشيخ (عبد الله) الأيقونة من يد الرجل ، الذى نطق بالشهادتين ، ثم تراخى جسده مستسلمًا للموت ..

وقرأ الشيخ (عبد الله) الفاتحة على روحه ، ثم بدأ يحفر عند الشجرة ، ليعمل على دفنه بعد أن وضع الأيقونة فى جيبه ، وهو يتساءل عن أهميتها ..

وعن قوتها ..

قوة الشر .

★ ★ ★



٢ - مهمة فى كولومبيا ..

تجاوزت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، عندما أوقف (ممدوح) محرك قاربه البخارى ، وهو يلقى نظرة على ذلك المبنى الرمادى ، الغارق فى الظلام ، والذى تطل جدرانه على البحر مباشرة ، من خلال منظاره المقرِّب ، المجهز للرؤية الليلية ، ثم لم يلبث أن استخدم المجداف الخشبى ؛ لمساعدة قاربه على الاقتراب من ذلك المبنى ، وهو حريص على ألا يصدر عنه أى صوت ، حتى صوت حركة المجداف فى الماء ، وعندما أصبح على مسافة أمتار قليلة من المبنى الرمادى ، ارتدى سترة جلدية فوق ثيابه ، بحيث غطت كافة أجزاء جسده ، عدا وجهه ، ثم قفز إلى الماء سابحًا فى اتجاه المبنى ، وحرص على أن يبتعد عن الجهات التى يعتليها الحراس المسلحون ، بعد أن استطاع تحديد أماكنهم ، من خلال منظاره ، كما حرص على أن تكون سباحته هادئة ، لا تثير الانتباه ، وأن يبقى جسده لفترات طويلة غائصًا تحت الماء ، حتى وصل إلى أحد جدران المبنى ، حيث ارتدى فى يديه قفازين مزودين بما يشبه الخطاف ، وأخذ يُعملهما فى الجدار ، معتمدًا على النتوءات البارزة ، وبعض الاجزاء

المتآكلة منه ، بفعل عوامل النحر ، وهو يتسلق فى خفة النمر ..

وبعد جهد غير يسير ، تمكّن من الوصول إلى حافة الجدار ، حيث تخلّص من القفّاز ، واستمرّ فى الزحف على بطنه ، إلى أن وصل إلى ما يشبه القبة الزجاجية ، التى تعتلى سطح المبنى ، ومن خلال بصيص ضئيل من الضوء ، تمكَّن (ممدوح) أن يرى ، من خلال هذه القبة الزجاجية ، بعض المعدات والتجهيزات الخاصة بالمعمل الكيميائى ، الذى تخرج منه مختلف أنواع سموم المخدرات ، والذى يصدر الهيروين والكوكايين ، إلى أماكن عديدة من العالم ، ومن بينها (مصر) .

وكانت المهمة ، التى جاء من أجلها إلى هذا المكان ، هى تدمير ذلك المعمل تمامًا ، وتخليص العالم من شروره ، فقد كان معمل (لاكوزا) فى (كولومبيا) ، الذى يملكه واحد من أغنى بارونات المخدرات فى (أمريكا اللاتينية) ، وهو الملياردير (جارسيا) ، يعد واحدًا من أخطر مصادر إعداد وتهريب المخدرات البيضاء فى العالم ، وكان هناك وسطاء عديدون ، يتولون نقل إنتاج هذا المعمل ، الذى كان فى حقيقته مجموعة متكاملة من المعامل الكيميائية ، المخصصة

لإعداد هذه السموم وتصديرها إلى مناطق متفرِّقة من العالم ، عبر الحدود ..

وعانت (مصر) ـ شأنها شأن باقى دول العالم ، التى ابتليت بهذه السموم ـ آثارها المدمرة ، فعلى الرغم من الحملات النشطة التى قام بها رجال مكافحة المخدرات ، على أوكار تجارة هذه السموم ، وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة ، التى بذلها رجال حرس الحدود والسواحل ؛ لحماية بلادنا ، من تلك المخدرات ، واختراقها لحدودنا ومياهنا الإقليمية ، إلا أن الخطر ظل قائمًا ، طالما أن هناك مثل هذه المعامل المشبوهة ، التى تتولى تصنيع هذه السموم البيضاء ، وتصديرها إلى العالم ..

وكان القرار ، الذى اتخذ على أعلى المستويات ، هو البحث عن المنبع ، وتدمير أحد أكبر معامل تصنيع الهيروين ، وغيره من المواد المخدرة ، بأى ثمن وأية وسيلة ، دون انتظار وصوله إلى بلادنا ، واقترابه من حدودنا ، وكان الهدف الذى حددته إدارة العمليات الخاصة ، والذى وقع عليه اختيار اللواء (مراد) ، هو معمل (لاكوزا) ؛ باعتباره واحدًا من أكبر المعامل التى تصنع تلك المخدرات البيضاء ، ويقوم المهربون بتهريبها إلى

(مطر) ، ولم يكن هناك من هو أفضل للتنفيذ من (ممدوح عبد الوهاب) ، أشهر عملاء العمليات الخاصة ؛ فهو وحده الذى يستطيع التصدّى لمخاطرة من هذا النوع ، ويذهب لوكر الشياطين ، ليتولى تنفيذ المهمة ،لذا فإن (ممدوح) ، بعد أن قطع هذه المرحلة ، ووصل إلى هذه الأماكن التى استغرق وصوله إليها أسبوعًا كاملًا من التخطيط ، وجهدًا شاقًا فى التنفيذ ، لم يكن مستعدًا ، بأى حال من الأحوال ، للفشل فى تلك المهمة الملقاة على عاتقه ..

وتناول (ممدوح) من جيبه آلة معدنية حادة ، أخذ يُعملها فى أحد الألواح الزجاجية ، التى تتكون منها القبة ، حتى نزعه من مكانه ، ثم أخرج من سترته الجلدية حبلًا طويلًا مزودًا بخطاف معدنى ، ثبته فى الحافة الخشبية للوح الزجاجى ، الذى نزعه من مكانه ، وهو يستعد للهبوط ..

وفجأة سمع صوتًا شرسًا من خلفه ، يصيح به قائلًا :

ـ أنت يا هذا .. ماذا تفعل هنا ؟

واستدار (ممدوح) على الفور ، قبل أن يبدأ الرجل فى تصويب سلاحه ليقابله بلكمة كمطرقة من الحديد ، ثم عاجله بضربة أخرى من قدمه فى وجهه ، من ضربات الكاراتيه التى

يجيدها ، تلاها بضربة ترنّح لها الرجل ، اختل السلاح فى يده ، فهجم (ممدوح) عليه ، لينزع السلاح من يده ، والرجل يتراجع إلى الخلف مترنحًا ، من أثر ضربات (ممدوح) ، وأراد أن يخرج خنجرًا من الجراب المدلى حول وسطه ، ولكن (ممدوح) عاجله بضربة قوية من مؤخرة السلاح ، الذى استولى عليه ، ليطيح به من فوق حافة المبنى ، فسبح الرجل فى الهواء هابطًا إلى الماء ، ليغوص فيه كالحجر ..

ويبدو أن هذه المعركة القصيرة قد أثارت انتباه زميل له ، إذ لمح (ممدوح) ، بعينيه المدرَّبة على الرؤية فى الظلام ، شخصًا آخر ، يتحرّك فى اتجاهه ، وقد استعد بسلاحه لمواجهة ما يحدث ، وما هى إلا لحظات ، حتى كان (ممدوح) قد طوَّق عنق الرجل بجسم السلاح المعدنى ، الذى استولى عليه ..

وخشى (ممدوح) أن تنطلق الرصاصات من سلاح الرجل ، فتثير الانتباه إليه ؛ لذلك عدل عن خنقه ، أو الدخول معه فى صراع ، يمكن أن تترتب عليه أية حركة غير طبيعية ، فاكتفى بتوجيه ضربة قوية إلى رأسه من الخلف ، بمؤخرة سلاحه ، فقد إثرها الوعى ، وقام (ممدوح) بحمله فوق

كتفه ، ليلقى به من فوق الجدار العالى إلى الماء ، لاحقًا بزميله ، ثم تدلّى بوساطة الحبل ، إلى المعمل الكيميائى ، حيث فتح سترته الجلدية من الأمام حتى المنتصف ، وانتزع حزامًا بلاستيكيًا ، يلتف حول خصره ، بداخله عدد من القنابل الإلكترونية الصغيرة ، التى قام بتثبيتها فى مواقع متفرقة من المعمل ، بعد أن قام بضبط مؤشر التفجير فى كل منها ، لتنفجر القنابل بعد خمس دقائق تمامًا ، وسارع بتسلّق الحبل مرة أخرى ، صاعدًا إلى أعلى ، حيث يمر حول اللوح الزجاجى المنزوع إلى السطح ، وفوجئ بشخص ثالث يظهر له فجأة ، وقد تأهب بسلاحه ، ولكنه بادره بالهجوم ، قابضًا على ذراعه بيديه ، وهو يلف قدمه اليمنى حول ساق غريمه ، مطيحًا به على الأرض ، فى حركة خاطفة وسريعة ، ولكن الرجل نهض مرة أخرى ، بعد أن سدّد لكمة قوية إلى أمعاء (ممدوح) ، انحنى على أثرها ، واضعًا يديه على بطنه ، وحاول أن يلتقط سلاحه ، ليقتل به (ممدوح) ، ولكن (ممدوح) ، الذى كان مهتمًا بانهاء المعركة سريعًا ، قبل أن تنفجر القنابل ، لم يتح له الفرصة ، إذ عاجله بلكمة قوية ، استقرّت على فكه ، تلتها أخرى فى صدغة ، ثم أمسك بتلابيبه ، مطيحًا به نحو القبة الزجاجية ، حيث تهشم

زجاجها ، إثر ارتطام الرجل ، واستقرّت بعض شظاياها فى جسده ..

ونظر (ممدوح) فى ساعته ، فوجد أنه لم يعد باقيًا سوى دقيقة واحدة ، على انفجار القنابل ، ولم يعد هناك مجال للمزيد من الانتظار ، بأى حال من الأحوال ، فاندفع ليعتلى حافة الجدار ، ليقفز إلى الماء ، من هذا الارتفاع الشاهق وما أن استقر جسده فى الماء ، حتى أخذ يسبح بكل قوة ، محاولًا الابتعاد عن المبنى ، ومن خلفه دوى انفجار هائل ، ارتج له الماء حوله ، وتوقّف (ممدوح) قليلًا عن السباحة ، وهو ينظر خلفه ، ليرى ألسنة النيران ترتفع فوق المبنى ، الذى تحطمت أجزاء من جدرانه ، وبدا كما لو كان كتلة من الجحيم ، فابتسم قائلًا ، وهو ينظر إلى المعمل الذى دمره :

- وداعًا معمل (لاكوزا) .. وداعًا وكر السموم .

ثم عادت يداه تشقان الماء ، وهو يسبح متجهًا إلى قاربه ، الذى كان ساكنًا فى مكانه ، فوق صفحة المياه ، وما أن استقر (ممدوح) فوق القارب ، حتى نزع عنه سترته الجلدية ، وأدار محركه ، عائدًا به إلى الشاطئ ..

وبالقرب من الشاطئ كانت سيارته فى انتظاره ، فأسرع بالوثوب إليها ، منطلقًا بها بأقصى سرعة ، فى طريقه إلى



وما أن استقر (ممدوح) فوق القارب ، حتى نزع عنه سترته الجلدية ، وأدار محرّكه ، عائدًا إلى الشاطئ ..

المطار ، وانتبه فجأة على هدير سيارة مقبلة خلفه ، بأقصى سرعتها ، ولحقت به السيارة حتى أصبحت خلفه مباشرة ، فنظر فى المرآة الصغيرة ، المعلقة أمامه فى السيارة ، وقد داخله إحساس بوجود خطر يقترب منه ويتربّص به ، وأطلق العنان لسيارته ، والسيارة الأخرى فى أعقابه ، وقد زادت من سرعتها ..

وسرعان ما صدق إحساس (ممدوح) إذ لمح شخصًا داخل السيارة ، يجلس إلى جوار السائق ، وهو يتناول مسدسًا مزوّدًا بكاتم للصوت من جيبه ، ثم يمدّ ذراعه من نافذة السيارة ، مصوّبًا المسدس فى اتجاه عجلات سيارة (ممدوح) ، الذى انحرف بها جانبًا ، لتطيش الرصاصة بعيدًا عن العجلات ..

ولكن الرجل بدا مصمّمًا على إصابة العجلات ، فقد أخرج رأسه وذراعه من السيارة مرة أخرى ، وهو يصوّب مسدسه نحو إطارات السيارة التى يقودها ، فأخذ (ممدوح) يسير بسيارته فى خط متعرّج ؛ ليتفادى الرصاصات المصوّبة إلى العجلات ، كما تعمّد أن ينحرف إلى طريق جانبى شديد الوعورة ، ليحول بين غريمه فى السيارة الخلفية ، وبين دقة التصويب ، ثم لمح الرجل الذى يصوّب إليه مسدسه ، من

خلال مرآة السيارة ، وهو يعيد ملء خزانة المسدس ، بعد أن نفذت رصاصاته الطائشة ، فضغط زرًا فى (تابلوه) سيارته ، لتظهر أمامه شاشة صغيرة ، فى حجم كف اليد ، وقد ظهرت عليها صورة السيارة الخلفية ، وأخذ (ممدوح) يحرّك مؤشرًا صغيرًا إلى جوار الشاشة ، وهو مستمر فى قيادة السيارة ، ولكن بسرعة أهدأ هذه المرة ، لتظهر عليها أجزاء متفرقة منها ، حتى ظهرت على الشاشة الصغيرة عجلات السيارة الخلفية ، بصورة موضّحة ومكبرة ، فرفع (ممدوح) يده عن المؤشر ، ليضع إصبعه على زر صغير إلى جواره ، وفى الحال ظهرت ماسورة معدنية صغيرة ، من أسفل مؤخرة سيارته إلى جوار ماسورة العادم ، وانطلق من داخلها سهم صغير ، مزوّد برأس فسفورى ، وسُرعان ما اخترق هذا الرأس الفسفورى عجلة السيارة الخلفية ، فى اللحظة التى انتهى فيها غريم (ممدوح) من إعادة ملء مسدسه ، وهو يتأهّب لمعاودة إطلاق الرصاص مرة أخرى ، وانطلق رأس السهم الفسفورى يقوم بعمله ، فى عجلة السيارة ، ويعمل على إحداث فجوة كبيرة فى الإطار ، الذى ذاب كما يذوب الزبد على النار ، وقبل أن تنطلق رصاصة الرجل مرة أخرى من مسدسه ، كانت السيارة قد انحرفت

جانبًا ، وقد اختل توازنها إثر انفجار الإطار ، لترتطم بإحدى الأشجار الضخمة ، التى تقع على جانب الطريق ، وابتسم (ممدوح) وهو ينظر إلى مرآة سيارته ، ملوّحًا بيده لأعدائه ، وهو يقول :

- أرجو أن يكون لديكم إطار بديل وإلا تعرّضتم لمشكلة كبيرة ، فى هذا الطريق الوعر .

وبعد قليل لاحت له من بعيد أضواء مطار (بوجوتا) عاصمة (كولومبيا) ، وفى خلال نصف الساعة ، كان قد استقر على مقعده فى الطائرة المتجهة إلى (القاهرة) بعد أن أدى مهمته بنجاح ، دون أن يدرك أنه سيبدأ هناك مهمة جديدة ..

مهمة قاتلة .





٣ ـ مهمة جديدة ..

استقبل اللواء (مراد) (ممدوح) ببشاشة ، قائلًا :

ـ لقد أديت عملًا عظيمًا يا (ممدوح) .

وصافح (ممدوح) اللواء (مراد) قائلًا :

ـ إننى لم أفعل سوى الواجب يا سيِّدى .

ودعاه اللواء (مراد) إلى الجلوس ، قائلًا :

كفاك تواضعًا أيها البطل .. لقد قمت بعمل شاق ، وأديت مهمتك على أكمل وجه ، فى أجواء شديدة الخطورة .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

المهم أننا تخلّصنا من ذلك المعمل الملعون ، ولو أن الأوكار التى تنتج هذه السموم لا تنتهى ، ولابد أنهم سيعوضون خسائرهم بعد فترة من الوقت ، ويعملون على إقامة معمل آخر من ذلك النوع ، ما دامت الأرباح التى يحققونها من وراء تلك السموم هائلة .

قال اللواء (مراد) بثقة :

ـ سيحتاجون لسنوات عديدة ، حتى يعوضوا خسائرهم ، ويعودوا إلى إنشاء أحد هذه المعامل السرية الضخمة ، وعلى كل لو ظهر فى المستقبل معمل آخر من طراز معمل

(لاكوزا) ، ووجدنا أن فى وجوده خطرًا يهدِّد بلادنا ، فنحن له بالمرصاد ، ما دام لدينا رجال من طرازك ..

وما أن انتهى اللواء (مراد) من عبارته ، حتى سمع طرقًا على الباب ، فدعا من بالخارج إلى الدخول ، وسرعان ما دخل أحد سكرتيرى اللواء (مراد) ، حاملًا ملفًا أزرق اللون ، يحوى مجموعة من الأوراق ، ليقدّمه إليه قائلًا :

ـ لقد انتهت إدارة المتابعة من إعداد جميع التقارير ، الخاصة بملف (ريجوتا) ، والملف أصبح جاهزًا .

تناول اللواء (مراد) الملف من السكرتير ، ثم أخذ أوراقه فى سرعة فى أثناء انصرافه ، كما لو كان قد اطلع على هذه الأوراق من قبل ، وأحسّ (ممدوح) أن اللواء (مراد) مهتم بهذا الملف ، وأنه سينشغل بفحص أوراقه بعناية ، بعد أن ينتهى من هذه القراءة المتعجلة ، فاستعد لكى يستأذنه للانصراف ، ولكن اللواء (مراد) رفع عينيه عن الأوراق الموضوعة أمامه ، بعد أن نزع منظاره ، وهو ينظر إلى (ممدوح) نظرة متفحِّصة ، وقال لـ(ممدوح) :

ـ قل لى يا (ممدوح) .. هل أعجبتك (أمريكا اللاتينية) ؟

بدا (ممدوح) كما لو كان لم يفهم السؤال ، فقال مستفسرًا :

ـ من أية زاوية يا فندم ؟

واسترخى اللواء (مراد) فى مقعده ، قائلًا :

ـ ماذا تعنى بأية زاوية ؟.. هل هى بلاد جميلة أم لا ؟

ممدوح ..

ـ إنها بلاد جميلة بالفعل .. إذا استثنينا ..

ولكن اللواء (مراد) قاطعه ، وقد استردّ طبيعة الرئيس الحازم :

ـ حسنًا .. لأنك ستعود إليها مرة أخرى .

نظر إليه (ممدوح) بدهشة ، قائلًا :

ـ هل سأسافر إلى (كولومبيا) مرة أخرى ؟

اللواء (مراد) :

ـ ليس إلى (كولومبيا) ، ولكن إلى (ريجونا) هذه المرة .

ازدادت دهشة (ممدوح) ، وهو يردِّد :

ـ (ريجونا) ؟!

اللواء (مراد) :

ـ نعم .. إنها أصغر مساحة وتعدادًا من (كولومبيا) ، كما أن تجارة المخدرات غير منتشرة فيها على النحو نفسه ،

ولكن يوجد بها شخص خطير ، ذو نفوذ واسع ، تحاك عنه الأساطير والخرافات ، يُدعى (الكاهن جوس) ..

بدا الاهتمام على (ممدوح) وهو يتطلع إلى رئيسه قائلًا :

ـ وما شأننا بهذا الكاهن ؟

اللواء (مراد) :

ـ منذ عدة سنوات جاء إلى بلادنا شخص مسلم من (ريجونا) ، اعتنق الإسلام عن طريق صلته بأحد السوريين فى (البرازيل) ، وكان هذا الشخص متألمًا للغاية ؛ بسبب عدم وجود رعاية دينية كافية فى بلاده ، وانتشار الوثنية فى مناطق عديدة منها ، فى الوقت الذى تفرغ فيه الحكام هناك لنهب ثروات الشعب ، وتدبير المؤامرات والدسائس ، والسعى وراء إقامة نظام عسكرى صارم ، يسيطر على حكم (ريجونا) دون الاهتمام برعايتها اجتماعيًا ودينيًا واقتصاديًا ..

وفى ظل هذا النظام ، كان المجال مفتوحًا أمام الخرافات والمشعوذين ، للسيطرة على المناطق التى تنتشر فيها الوثنية فى (ريجونا) ، وفى ظل هذا النظام أيضًا كان لابد أن تظهر شخصية مثل شخصية (الكاهن) .. رجل يدّعى أنه ذو قوى خارقة وسحرية ، ويقيم شعائر شيطانية ، يسيطر من خلالها

على عقول الأهالى ، ورجال القبائل الوثنية فى (ريجونا) ، حتى استفحل نفوذه وسلطانه فى أدغال (ريجونا) ، والقرى المحيطة بها ، بشكل خطير ، وقد أشار المسلم السورى على صديقه ، الذى اعتنق على يديه الإسلام ، حينما رآه متألمًا لحال بلاده ، واستسلام الكثير من الأهالى فيها لتلك العادات والتقاليد الوثنية ، بأن يلجأ إلى الأزهر الشريف فى (مصر) ، ويطلب منهم المساعدة على نشر الدعوة الإسلامية فى بلاده ، وقد استجاب الأزهر لرجاء ذلك المسلم (الريجونى) ، وبعد مجهودات شاقة ، واتصالات عديدة مع الحكومة (الريجوانية) سمحوا أخيرًا بإرسال شخص واحد من الأزهر ، لممارسة دعوته إلى الإسلام ، فى بعض المناطق المتخلفة من ريجونا ، على شرطين ، ألَّا تكون الحكومة مسئولة عن حمايته ، وألا تكون لدعوته أية صلة بالسياسة ، ومناهضة نظام الحكم القائم هناك .. وبناء على ذلك ، أوفد الأزهر الشيخ (عبد الله) إلى (ريجونا) ، بعد أن تبيَّن أنه يجيد الإسبانية ، بما يساعده على أداء مهمته هناك ..

وفى أدغال (ريجونا) وقراها ، كان التحدى الكبير بين (جوس) وأتباعه ، وبين الشيخ (عبدالله) ، بدعوته الجديدة، التى لاقت إقبالًا كبيرًا من الأهالى ورجال القبائل هناك .

وبدأ الكاهن يعلن الحرب على الشيخ (عبد الله) وأعوانه .. حربًا لا رحمة فيها ولا هوادة ، خلفت الكثير من الضحايا ، وأصدر (جوس) أمره بقتل الشيخ (عبد الله) ، ولكن أحد أتباعه ، ممن اعتنقوا الإسلام ، ساعده على الهرب ، بعد أن سلمه (أيقونة صفراء) خاصة بالكاهن ، ويعتقد أنها أيقونة سحرية ، تساعد الكاهن على إحكام سيطرته على أتباعه ، وعلى الأهالى البسطاء ، لكن أحد أعوان (الكاهن) لحق بالشيخ (عبد الله) فى العاصمة (لادونا) وأصابه بجرح عميق ، على بعد عدة أمتار من السفارة المصرية هناك ، محاولًا استخلاص (الأيقونة الصفراء) منه ، قبل أن يتوجه بها إلى السفارة ، بعد أن أوصاه ذلك الشخص ، الذى أنقذه ، قبل موته بالحفاظ عليها ، وعدم السماح للكاهن بالحصول عليها مرة أخرى ، ولكن الشيخ (عبد الله) تحامل على نفسه ، واستطاع الدخول إلى السفارة المصرية ، على الرغم من جرحه العميق ، والأيقونة فى يده ، قبل أن يلقى مصرعه ، وكان آخر ما أوصى به هو الحفاظ على هذه الأيقونة ، والحرص على عدم وقوعها فى يد الكاهن مرة أخرى .

وصمت اللواء (مراد) قليلًا ، وهو يلتقط أنفاسه ، قبل أن يقول :

ـ ولكن المشكلة هى أن تلك الأيقونة قد اختفت من السفارة ، فى نفس الليلة التى أحضرها فيها الشيخ (عبد الله) ، فقد تمكّن شخص ما من التسلل إلى السفارة المصرية هناك خلسة ، واستولى على الأيقونة .

ممدوح :

ـ لا بد أنه أحد أتباع ذلك الكاهن بلا شك .

اللواء (مراد) :

ـ كنا نظن ذلك ، إلى أن ظهرت لنا مشكلة أخرى ، فقد سافر أحد العلماء المصريين ، من المتخصصين فى الأبحاث والعلوم الذرية ، لحضور مؤتمر علمى عالمى بالمكسيك ، يحضره عدد محدود من العلماء ، فى هذا المجال ، وفجأة ، اختفى هذا العالم المصرى ، من الفندق الذى ينزل فيه ، وفجأة أيضًا وجدنا من يساومنا على هذا العالم ، وعلى عودته إلى (مصر) حيًّا مرة أخرى ، فقد اتصل بسفارتنا فى (ريجونا) أحد الأشخاص ، من أتباع ذلك الكاهن ، يطالبنا بإعادة الأيقونة السحرية ، فى مقابل حياة العالم المصرى ، الذى تم اختطافه فى (المكسيك) ، والتوجه به إلى منطقة

مجهولة من غابات (ريجونا) ؛ ليصبح أسيرًا لدى ذلك الكاهن .

ممدوح :

ـ والمشكلة أننا ، حتى لو وافقنا على شروطه ، وقبلنا المساومة ، فإننا لا نملك الأيقونة ، التى اختفت بطريقة مريبة من السفارة المصرية فى (ريجونا) .

اللواء (مراد) :

ـ نعم .

ممدوح :

ـ ألا يحتمل أن يكون أحد أعوان الكاهن ، هو الذى استولى على هذه الأيقونة لنفسه ، اعتقادًا منه بقوتها السحرية ، ومحاولة منه لمنافسة (جوس) ، على زعامة هذه المناطق المتخلفة ، وأنه ينتظر الوقت المناسب لإظهارها ، وإعلان تحديه لسيّده ؟

اللواء مراد :

ـ محتمل .. ولكن ليست هذه هى مشكلتنا الآن .. المشكلة الحقيقية هى أننا لابد أن ننقذ العالم المصرى بأى ثمن ، وألا ندعه تحت رحمة أولئك الأشرار ، والشيطان الذى يحكمهم .

ممدوح :

- وما هى المهلة المحدودة أمامنا ، لإتمام عملية التبادل ؟

اللواء (مراد) :

- عشرة أيام .. علينا خلالها أن نُقدِّم الأيقونةَ المفقودةَ إلى الكاهن ، أو نفقد العالم المصرى إلى الأبد ..

لقد طلبنا من السفارة المصرية هناك ، مجاراة أتباع ذلك الشيطان ، وإيهامهم بأننا مازلنا نحتفظ بالأيقونة ، لكن ذلك لن يؤدى إلى تخلصهم من العالم المصرى ، خاصة وأن الكاهن يحمل حقدًا خاصًا تجاه المصريين ، بعد المتاعب التى سببها له الشيخ (عبد الله) هناك ، أما عن طريقة المبادلة ، فسوف تتم فى بقعة من الأدغال ، تم تحديدها عن طريق الشخص الذى أرسله الكاهن إلى سفارتنا فى (ريجونا) .

ممدوح :

- إذن فالمطلوب هو الوصول إلى مقر الكاهن ، وإنقاذ العالم المصرى ، الذى يحتجزونه هناك ، قبل أن تنقضى مدة العشرة أيام ، ولا سبيل أمامنا غير ذلك ، ما دامت تلك الأيقونة ليست فى حوزتنا .

اللواء (مراد) :

- تمامًا .. وقد أجرينا بعض الاتصالات ، بأجهزة الأمن فى (ريجونا) ، ووعدوا بتقديم المساعدة لنا ، لإنجاح هذه

المهمة ، فاختطاف عالم ذرة كبير ، مثل الدكتور (فؤاد) ، بوساطة أولئك الأشرار ، الذين يقطنون الغابات ، ومناطق متفرقة من (ريجونا) ، مع عجز السلطات هناك إزاءهم ، يسئ إلى سمعة الدولة فى ريجونا وأجهزتها الأمنية ، التى يضفون عليها صفات خارقة ، كما أنه فيما يبدو فإن الرئيس (خوزيه) ، الذى يحكم البلاد ، أصبح أكثر حماسًا وتصميمًا هذه المرة ، على القضاء على الكاهن وعصابته ، بعد أن استغل نفوذه وخطره فى (ريجونا) كلها ، وأصبح يمثل خطرًا على النظام القائم هناك .

ونهض (ممدوح) واقفًا ، وهو يقول فى حماس :

- حسنًا .. إننى جاهز للقيام بالمهمة يا فندم ، وأعتقد أنه يتعين علىّ أن أعد نفسى للسفر إلى (ريجونا) ، فى غضون الساعات القادمة .

قدم له اللواء (مراد) الملف الموضوع أمامه ، قائلًا :

- حسنًا .. خذ هذا الملف وراجعه جيدًا قبل سفرك ، واحترس .. مهمتك هذه المرة ليست هيِّنة .. إنها خطيرة .. خطيرة إلى حد الموت .

★ ★ ★


وقد أخذت تتجادل مع أحد الباعة ، حول ثمن عدد من ثمرات الأناناس ..

٤ ـ محاولة فاشلة ..

وقف (ممدوح) على رصيف الميناء ، يتسكع قليلًا ، وهو يرقب حركة السفن والقوارب الصغيرة ، وبعض البحارة والباعة الجائلين ، المنتشرين بالقرب من رصيف الميناء ، وسرعان ما لفتت نظره فتاة جميلة ، ذات شعر أسود فاحم ، ينساب فوق كتفيها فى نعومة ، وقوام ممشوق ، ترتدى سروالًا من الجينز ، وبلوزة قصيرة ، وقد أخذت تتجادل مع أحد الباعة ، حول ثمن عدد من ثمرات الأناناس ، واحتدم الجدل ، وقد أصر كل منهما على الثمن الذى حدده ، ولكن بدا أن البائع قد بدأ يتراجع فى النهاية ، إزاء إصرار الفتاة ، وقوة شخصيتها الواضحة ، وفى النهاية أجبرت الفتاة البائع على أن يبيعها سلة صغيرة ، تحتوى على ثمار الأناناس ، بالثمن الذى حددته هى ، وحملت الفتاة سلة الثمار ، وهى تخطو فوق رصيف الميناء ، فى اعتزاز وثقة بالنفس ، وابتسم (ممدوح) لهذا المشهد ، ثم لم يلبث أن أدار لها ظهره ، متجهًا إلى أحد المقاهى المقابلة للرصيف ، ولكنه توقف عن مواصلة سيره ، عندما سمع صوتًا ناعمًا ، وإن كان لا يخلو من قوة ، يقول له :

ـ إلى أين ؟ ألا تحب أن تتذوق الأناناس ؟

والتفت (ممدوح) إلى مصدر الصوت ، ليجد أمامه الفتاة ، التى كانت تتجادل مع البائع منذ قليل ، وهى تقف فى مواجهته ، وعلى وجهها ابتسامة فاتنة ، ونظر إليها (ممدوح) فى دهشة ، فقد كانت تلك العبارة هى كلمة السر المتفق عليها ، بين (ممدوح) وعميل المباحث السرية ، المكلف بمساعدته فى (ريجونا) ، ولكنه لم يلبث أن تغلّب على دهشته ، قائلًا لها ، وفقًا لما هو متفق عليه .

ـ بشرط أن يكون طازجًا .

وقالت له الفتاة ، وهى تقدم له إحدى ثمار الأناناس من سلّتها .

ـ إنه طازج دائمًا .

ومدّت له يدها لتصافحه ، قائلة :

ـ مقدّم (ممدوح عبد الوهاب) .. مرحبًا بك فى (ريجونا) .. أعرّفك بنفسى .. (ماريا اليساندرو) ، ضابط بالمباحث السرية الريجونية ..

وصافحها (ممدوح) ، وملامح الدهشة مازالت مرتسمة على وجهه ، ويبدو أنها لاحظت ذلك ، إذ سألته قائلة :

ـ لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟

ممدوح :

ـ لم أكن أعتقد أن العميل السرى المكلّف بمساعدتى فى (ريجونا) ، سيكون فتاة جميلة هكذا .

قالت الفتاة :

ـ هل أعتبر ذلك منك مدحًا أم ذمًّا ؟ على كل يجب أن تعرف أن كفاءتى ليست محل شك ، من جانب رؤسائى ، على الرغم من كونى فتاة ، وإلا ما كانوا كلفونى بمساعدتك فى تلك المُهمَّة ..

لقد تخطَّيت عددًا من الاختبارات القوية ، عجز عن اجتيازها العديد من الرجال الأشداء ، حتى تبوّأت منصبى هذا ، فى المباحث الريجونية .

ممدوح :

ـ لاشك فى ذلك .. لا تظنينى متعصبًا ضد المرأة .. إننى أفضّل فقط أن أراها فى أعمال أخرى ، غير تلك الأعمال ، التى تتطلّب مجهودات عضلية ومخاطر شديدة .

قالت الفتاة ، وهى تصحبه إلى سيارتها المكشوفة :

ـ برغم أننى أعارض وجهة نظرك هذه .. إلا أننى غير مستعدة لإضاعة الوقت فى مناقشتها ، فأمامنا مهمة شاقة ووقت محدود ، ودورى هو مساعدتك على النجاح فيها .

ووضعت السلة فى المقعد الخلفى للسيارة ، وهى تدعو (ممدوح) إلى الركوب إلى جوارها ، واستأنفت حديثها أثناء انطلاق السيارة ، قائلة فى جدية :

ـ يجب أن تعرف أن مهمتك هنا ستكون محاطة بالكثير من المخاطر ، فنفوذ الكاهن لا يقتصر على الأدغال والقرى المحيطة بها فقط ، بل له أعوان وأتباع ، يدينون له بالولاء ، ويعتبرون أنفسهم رهن إشارته فى العاصمة أيضًا ، وإذا علموا بالمهمة ، التى جئت من أجلها إلى (ريجونا) ، فلن يتوانوا عن قتلك .

وابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ أؤكد لك أننى سأبذل قصارى جهدى ، للحفاظ على حياتى .

وصمت قليلًا ، قبل أن يقول بخبث ، وهو يتطلّع إلى وجهها الجميل :

ـ ثم أن لدى ملاكى الحارس ، وياله من ملاك جميل !

ارتبكت الفتاة قليلا ، ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها ، وعادت إلى جديتها وهى تقول :

ـ المعلومات التى لدى تؤكد أن العالم المصرى ، الذى اختطفه الكاهن (جوس) ، فى مكان قريب من معبد الشيطان،

وربما فى مكان ما داخل المعبد نفسه ، والكاهن رجل ذكى .. إنه يحيط ذلك المعبد ، الذى يتخذه وكرًا له ولأعوانه ، بسياج قوى من الأمن ، كما أنه يحتوى على عدد من الدهاليز والممرات السرية ، التى يصعب الوصول إليها ، وفى هذه الحالة فإن مداهمة المعبد بقوات كبيرة من رجال الأمن ، أو بعملية انتحارية ، قد لا يجدى شيئًا ، إذ من المؤكد أن الكاهن سنكون لديه القدرة على الهرب ، فى الوقت المناسب ، وربما دفعه الغضب من جراء هجوم كهذا ، إلى التخلص فورًا من العالم المصرى المختطف ، خاصة أن لديه العديد من الأعوان ، الذين يراقبون مداخل ومخارج الأدغال ، التى يعيش فيها داخل وكره .

ممدوح :

ـ فى هذه الحالة ، سيكون من الأجدى أن نعتمد على أشخاص يعرفون جيدًا دروب ومجاهل هذه الأدغال .

وردّت عليه الفتاة قائلة :

ـ ما رأيك لو كان هذا الشخص من أتباع الكاهن نفسه ؟

ممدوح :

ـ كيف ؟

أجابته قائلة :

- أعوان (جوس) يقومون بغارات من آن لآخر ، على تلك القرى ، التى اعتنقت الإسلام ، وتمرَّدت على الخضوع لنفوذ الكاهن بغرض الانتقام ، من أهالى هذه القرى ، ومحاولة ترويعهم وإجبارهم على الخضوع مرة أخرى لسلطة الكاهن ، وقد وردت معلومات عن هجوم وشيك ، على إحدى القرى الصغيرة بأطراف الغابة ، من أعوان ذلك الشيطان ، فإذا ما ذهبنا إلى هذه القرية الصغيرة ، قبل موعد الهجوم بساعات ، وشاركناهم الدفاع عن قريتهم ، فربما استطعنا أن نأسر أحد أعوان الكاهن ، ونستخدمه فى الوصول إلى وكر سيِّده .

ممدوح :

- خطة ذكية .

التفتت إليه قائلة :

- حتى تعرف أن النساء أيضًا يجدن التفكير .

ابتسم قائلًا :

- لا أستطيع التشكيك فى ذلك مطلقًا .

لم يناقشا هذا الأمر مرة أخرى ، حتى بلغا القرية ، وهناك استقبل أهالى القرية (ممدوح) بترحاب كبير ، خاصة عندما علموا أنه من الدولة التى أتى منها الشيخ (عبدالله) ،

وقضى (ممدوح) والفتاة الليلة فى القرية ، بعد أن تأهبت حواس الجميع لاستقبال الهجوم المنتظر ، من جانب أعوان الكاهن ..

وعند الفجر انطلقت الصرخات المرعبة ، واشتعلت الحرائق ، ودوت الرصاصات ، ولكن أهالى القرية كانوا مستعدين هذه المرة ..

وتناول (ممدوح) مسدسه ، وهو يندفع إلى قلب المعركة ، حيث صوَّب رصاصتين إلى اثنين من الرجال ، ذوى الأقنعة الشيطانية ، وهما يهمان بإلقاء مشاعلهم على أكواخ القرية ، ومرت رصاصة فوق رأسه ، فاستدار سريعًا ، ليرى أحد أصحاب الأقنعة يصوب إليه بندقيته الآلية ، وهو يهم بإطلاق الرصاص عليه ، ولكنه سرعان ما تلقى رصاصة عاجلة ، أودت بحياته ، قبل أن تنطلق رصاصات بندقيته ، ونظر ممدوح نحو مصدر الصوت ، ليجد (ماريا) وقد عاجلته برصاصة محكمة من مسدسها ، وأشارت له بيدها للتحية ، فابتسم لها وهو يُبدى امتنانه ، لكن الابتسامة سرعان ما اختفت عن وجهه ، عندما لمح تلك النظرة الجزعة فى عينيها ، وهى تنظر نحوه ، وقبل أن يتنبه لما حدث ، كان أحد أصحاب الأقنعة الشيطانية قد قفز فوق

ظهره ، من على إحدى الأشجار الضخمة ، مطوّقًا عنقه بإحدى ساعديه ، وقد ارتفعت قبضته فى الهواء ، وبها سكين كبير ، ذو نصل لامع ، تمهيدًا لدفعه فى صدر (ممدوح) ، ولكن (ممدوح) ، برد فعله السريع ، وبراعته المعهودة فى مواجهة هذا النوع من المخاطر المفاجئة استقبل اليد القابضة على السكين ، قبل أن يصل نصلها الحاد إلى صدره ، بقبضة حديدية ، أطبقت على معصم خصمه ؛ وحصر همه فى الإمساك بهذه اليد ، التى تحمل السكين على الرغم من شعوره بالاختناق ، من الساعد الملتف حول عنقه فى قوة ، فقد كان إفلات هذه اليد من قبضته يعنى النهاية الحتمية لحياته ..

ووقفت الفتاة حائرة ، وهى تصوّب المسدس فى اتجاه المتصارعين فأى خطأ فى التصويب قد يعنى قتل (ممدوح) ، والتصويب مع ذلك الالتحام غاية فى الصعوبة ، ولكن (ممدوح) تصرَّف سريعًا ، إذ تحرك خطوتين بالرجل الجاثم فوق ظهره ، مندفعًا به فى قوة ، ليرتطم بجذع الشجرة التى قفز من فوقها ، وصرخ من الألم لارتطام ظهره بجذع الشجرة ، فى حين ظلّ (ممدوح) قابضًا على يده التى تحمل السكين ، ليبعدها عن صدره ، ومتحاملًا على نفسه من

التفاف ساعد غريمه حول عنقه ، وهو يتحرَّك مرة أخرى خطوتين إلى الأمام محملًا بثقل الرجل فوق ظهره ، ليعود فيدفعه مرة أخرى بقوة وعنف ، فى جذع الشجرة ، فصرخ الرجل ، وقد أحسّ بألم شديد فى عموده الفقرى ، جعل ساعده الملتف حول عنق (ممدوح) يتراخى ، والسكين يفلت من بين أصابع يده الأخرى ، وعاود (ممدوح) دفع الرجل إلى جذع الشجرة ، فهوى من فوق ظهره إلى الأرض ، حيث استدار ليواجهه مسدّدًا له عدة لكمات سريعة متتالية ، أفقدته الوعى ..

واشتدت رحى المعركة بين أهالى القرية والمقنعين ، من أتباع الكاهن ، فى حين حاول (ممدوح) و (ماريا) أسر الرجل الذى أفقداه الوعى ، ولكن ثلاثة من المقنعين اندفعوا يهاجمون (ماريا) بالمشاعل والخناجر ، فأطلقت رصاص مسدسها سريعًا ، وأسقطت واحدًا منهم ، وعندما أرادت إعادة الكرة ، كان المسدس قد فرغ من رصاصاته ، مما دفع (ممدوح) إلى التخلّى عن أسر الرجل ، ومهاجمة أحدهم ، مسدّدًا له عدة ركلات من ضربات الكراتيه التى يجيدها ، فى حين اندفع الثالث لمهاجمة الفتاة بمشعل لهب ، كان يحمله فى يده ، وأخذت الفتاة تتحرّك جانبًا وإلى أسفل ، لتفادى لهيب

مشعله ثم لم تلبث أن انقضت على الرجل فى هجمة مباغتة ، لتقبض على ذراعه ، وتطيح به أرضًا بحركة خاطفة ، كما يفعل أمهر المصارعين ، وعندما استعد الرجل للنهوض على إحدى ركبتيه ، كانت قد عاجلته بركلة قوية فى وجهه ، أطاحت به إلى الخلف ، فى اللحظة التى كان فيها (ممدوح) قد فرغ من الرجل الآخر ، وتمكّن من التغلب عليه ..

ثم انطلق صفير قوى فى ساحة المعركة ، اندفع على أثره أصحاب الأقنعة الشيطانية ، ينسحبون الواحد تلو الآخر ، فى حماية البنادق الآلية والمدافع الرشاشة ، وقد بدا من طريقتهم المنظمة فى الانسحاب ، وتأمين عودتهم من الطريق الذى أتوا منه ، مدى حرصهم على عدم وقوع أحدهم فى الأسر ، ولم يعد هناك سوى صوت الجرحى من أهالى القرية ، فى حين تمكّن المقنعون من حمل جرحاهم معهم فى أثناء انسحابهم ، تاركين قتلاهم فقط فى ساحة المعركة ، وفشلت محاولة (ممدوح) فى أسر واحد منهم ، وقد حصر اهتمامه بعد ذلك فى أولئك الجرحى من أهالى القرية ، ولكن المعركة بدت مختلفة لأوّل مرة ..

لقد انتهت بالتعادل .

★ ★ ★

٥ ـ علاقة الموت ..

قضى (ممدوح) ليلة مؤرقة ، وهو يتقلّب فى فراشه ، فى ذلك الفندق الصغير المجاور للأدغال ، وقد تراءت له ، فى ساعات نومه القصيرة المتقطعة ، كوابيس مفزعة ، وأصحاب تلك الأقنعة الشيطانية وهم يدقون رأسه بهراوات ضخمة ، وهب من نومه فجأة وهو يتصبب عرقًا ، إثر تلك الكوابيس المرعبة ، وأخذ يفرك عينيه ، وفجأة أصغى السمع إلى حركة خفيفة بالخارج ، فغادر فراشه على الفور ، وهو يتنقّل فى أرجاء الغرفة ..

كانت غرفته بالدور الأرضى ، وتقع بالقرب من حديقة الفندق الصغير مباشرة ، ولقد لمح خيالًا لشخص يتحرك خارج نافذة غرفته بخطوات مريبة ، فأزاح الستار المدلّى على النافذة ، وأطبق بيدين قويتين على ياقة سترة الشخص الواقف بالخارج ، ليجذبه فى قوة إلى غرفته ، ملقيا به على أرضية الغرفة ، وهم بتصويب لكمة قوية إلى وجه الرجل ، الذى كان يرتعد من شدة الخوف ، لولا أن صاح به قائلًا :

ـ كلا .. كلا أرجوك لا تضربنى .

سأله (ممدوح) وهو يرخى قبضته .

ـ من أنت ؟ ولماذا تحوم حول غرفتى ؟

أجابه الرجل قائلًا :

ـ إننى أدعى (أمين) .. أحد الأشخاص الذين أسلموا على يد الشيخ (عبد الله) ، وأنا من القرية الصغيرة المجاورة للأدغال ، التى كنت بها ليلة أمس .

قال (ممدوح) ، وهو ينظر آثار الجروح والسحجات الظاهرة على وجهه :

ـ إنك لم تجب بقية سؤالى .

قال الرجل ، وهو ما يزال يرتعد خوفًا .

ـ لقد أسرنى ، أعوان الكاهن ، فى أثناء هجومهم على القرية ، وتعرَّضت على أيديهم لألوان مختلفة من التعذيب ، حتى أبوح لهم بحقيقة شخصيتك ، والهدف الذى جئت من أجله إلى هذا المكان ، وقد اضطررت تحت وطأة التعذيب إلى أن أخبرهم بالحقيقة ، وبأنك جئت ومعك تلك الفتاة ؛ لانقاذ العالم المصرى المختطف ، وقد أطلقوا سراحى ، واحتفظوا بأخى الصغير ، فى مقابل أن أسعى لمقابلتك ، دون أن يلمحنى أحد ، وأنقل لك إنذارًا حملنى الكاهن مهمة نقله إليك ، وهو أن ترحل عن هذا المكان فورًا ، وإلا دمَّرك تدميرًا ، والوسيلة الوحيدة التى يمكن بها إنقاذ العالم المصرى ، هى إعادة

الأيقونة الصفراء إلى الكاهن ، وفقًا لما هو متفق عليه ، وإلا فإن الموت الحتمى هو المصير المنتظر للعالم المصرى ، فى نهاية المدة المحددة .

وسأله (ممدوح) قائلًا ، وهو يساعده على النهوض :

ـ هل تستطيع إرشادى إلى المكان ، الذى أخذوك إليه ، وعذبوك فيه ؟

قال الرجل :

ـ كلَّا .. لقد وضعوا على وجهى طاقية سوداء أثناء ذهابى وعودتى ، وحتى لو كنت أعرف الطريق إلى هناك ، فلن أستطيع إرشادك إليه ، فهذا يعنى القضاء علىَّ وعلى أخى الصغير .

ممدوح :

ـ حسنًا .. عد إلى قريتك ، وإذا ما التقى بك أحدهم ، فقل له : إنك نقلت إلىَّ إنذار الكاهن فقط ، وأنك لم تتلق منى أية إجابة على ذلك .

وغادر الرجل غرفة (ممدوح) سريعًا ، فى حين عاد هو لإغلاق النافذة ، حيث وجد (ماريا) واقفة إلى جواره وفى يدها مسدسها ، فنظر إليها بدهشة ، قائلًا :

ـ أنت .. كيف جئت إلى هنا ؟

قالت له بجدية :

ـ هل نسيت أننى أنزل فى الغرفة المجاورة ؟.. لقد سمعت ضجة فى غرفتك ، فتحركت سريعًا ، ووثبت من نافذة غرفتى إلى الحديقة ، فى محاولة للالتفاف من الخلف ، استعدادًا لمساندتك ، فى أى خطر قد تكون معرّضًا له .

مدوح :

ـ لابد أنك سمعت ما قاله الرجل .

أجابته قائلة :

ـ نعم .

ممدوح :

ـ هذا يعنى أن الكاهن قد بدأ يتنبه لوجودى فى منطقته ، وأنه سيسعى للقضاء علىَّ .

ماريا :

ـ أؤكّد لك أنه لن يتورع عن ذلك .. ما دام قد أرسل إليك إنذاره .

ممدوح :

ـ حسنًا .. هذا يجعل المواجهة متكافئة .

ابتسمت (ماريا) قائلة :

ـ كلا .. أؤكد لك أنها لن تكون متكافئة على الإطلاق ،

فهذا الرجل ، الذى تسعى لمواجهته ، يختلف عن الآخرين ممن واجهتهم من قبل ، إنه طراز مختلف من الأعداء ، فلديه قدرات سحرية بالفعل ، ولا يطيق التحدّى من أى كائن كان .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ هل تحاولين عمل دعاية له ؟

أجابته قائلة :

ـ كلا .. إننى فقط أحاول أن أبصِّرك بحقيقة العدو ، الذى تسعى لمواجهته ، فأنا من (ريجونا) ، وأعرف جيدًا حقيقة الشخص الذى أحدثك عنه .

ممدوح :

ـ لا تنسى أنك الآن تعملين معى ، أى أننا نجابه عدوًّا واحدًا ، وما دمت تضعين عليه كل هذه الهالة ، التى تجعله أشبه بشيطان مريد ، ألا تشعرين بشىء من الخوف تجاهه ؟

ماريا :

ـ لا أخفى عليك أننى أشعر بالخوف ، ولكننى متمسّكة بأداء مهمتى على الوجه الأكمل .

ممدوح :

ـ حسنًا .. ما دام الأمر كذلك ، فإننى أقترح عليك أن

تعودى إلى غرفتك ، حتى يحظى كل منا بقدر واف من النوم ، يعيننا على أداء هذه المهمة الشاقة .

ودّعته الفتاة قائلة :

ـ أتمنى لك نومًا هانئًا ، ولكن كن حذرًا ومتيقظًا .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ اطمئنى .. فلن يبدأ الكاهن وأعوانه فى التحرك ضدنا ، إلا بعد أن ينقل له ذلك القروى ردى على إنذاره .

قالت بلهجة تهكمية :

ـ ومن قال لك إنه لم يتلق حتى الآن ردك على إنذاره ؟

ممدوح :

ـ لقد رحل الرجل منذ عدة دقائق فقط ، ولا أعتقد أنهم قد وضعوا أيديهم عليه مرة أخرى بعد ، ليتلقوا منه الرد .

قالت له :

ـ وما أدراك أنه ليس هو نفسه من أتباع الكاهن ، وأنه اخترع قصة القروى وأخيه الصغير ، حتى ينقل لك إنذار الكاهن بشكل مستتر ، خاصة وأن أحدًا من أهالى القرية لم يخبرنا بالأمس عن اختفاء أحد منهم ؟

ممدوح :

ـ ولكن تلك السحجات والجروح فى وجهه .

ماريا :

ـ ربما كانت من آثار معركة أمس .

ممدوح :

ـ على كل حال فأنا بحاجة ماسة إلى النوم ، ولكنى أجيد النوم بعين متيقظة .

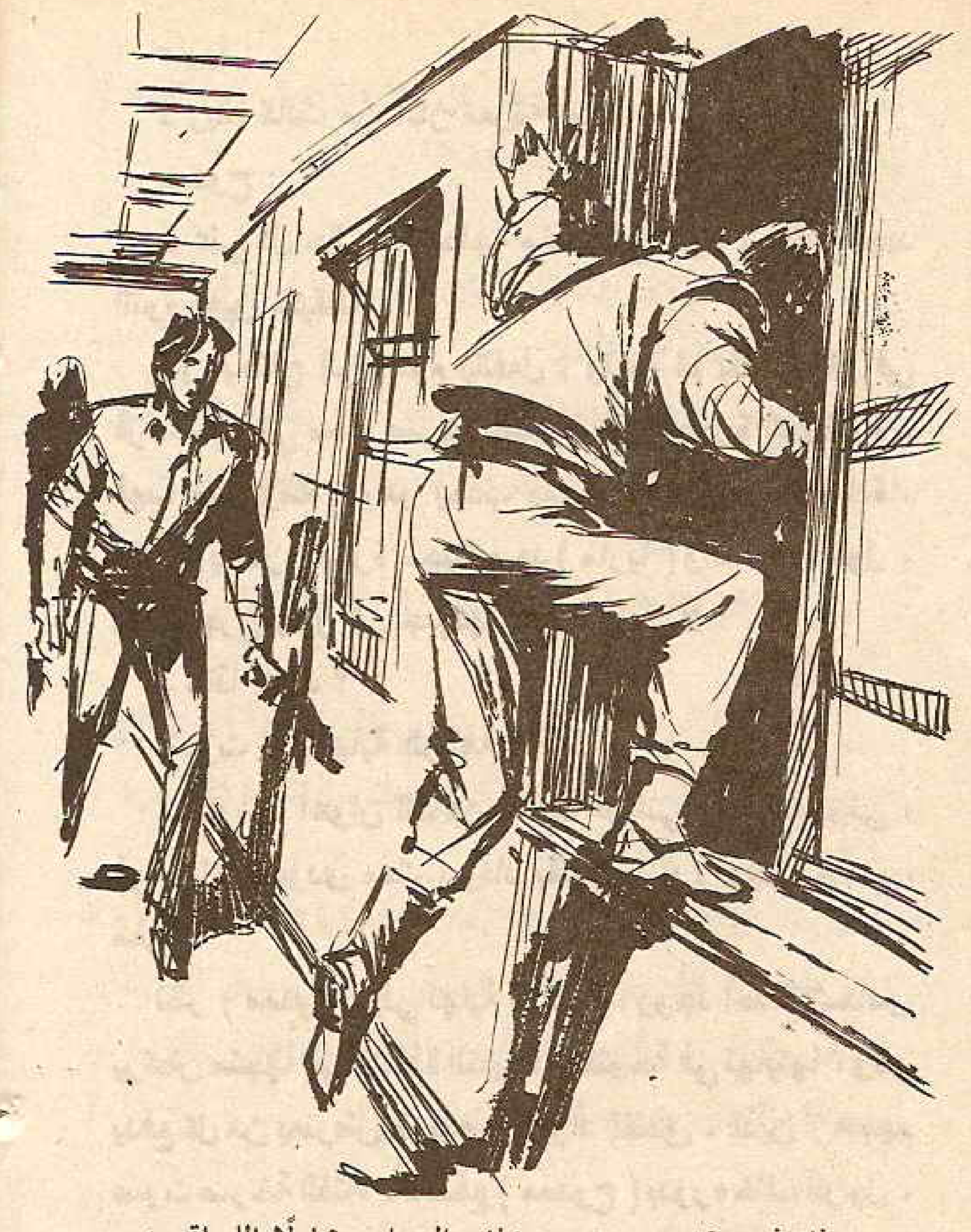
كان يحتاج إلى النوم بالفعل ، ولكنه لم يكد يستقر فى فراشه ، حتى سمع صرخة صادرة من الحجرة المجاورة ، فهبّ من نومه ، وهو يجذب مسدسه من أسفل الوسادة ، واندفع يغادر الحجرة ، حيث وجد (ماريا) واقفة فى ذهول ، وآثار جرح بارز فى جبهتها ، فسألها قائلًا :

ـ ماذا حدث ؟

أشارت إلى نهاية الردهة ، قائلة :

ـ إنه أحد أعوان الكاهن .. لقد غافلنى ودخل حجرتى ، فى أثناء وجودى معك ، وكاد يقتلنى ، لولا وجود مسدس معى .

نظر (ممدوح) إلى نهاية الردهة ، ووجد أحد الأشخاص يركض متجهًا إلى النافذة الكبيرة المفتوحة فى نهايتها ، وهو يدفع كل من يعترض طريقه من رواد الفندق ، الذين أزعجهم صوت صرخة الفتاة ، فاندفع (ممدوح) بدوره خلف الرجل ، محاولًا اللحاق به ، ولكنه وجده يقفز من نافذة الردهة ، إلى



فاندفع (ممدوح) بدوره خلف الرجل ، محاولًا اللحاق به ، ولكنه وجده يقفز من نافذة الردهة ..

الحديقة المحيطة بالفندق ، فوثب خلفه ، محاولًا اللحاق به فى الحديقة ، ولكن الرجل كان سريعًا للغاية ، واستطاع أن يسبق (ممدوح) ، بعد أن عبر حديقة الفندق إلى منطقة الأدغال المحيطة به ، إلا أن (ممدوح) لم يتراجع عن تصميمه على اللحاق به ، فاندفع وراءه مقتحمًا الحديقة الدغلية ، دون أن يعبأ بالمخاطر التى يمكن أن تنتظره فى مكان موحش كهذا ، وفجأة وجد الرجل واقفًا على بعد عدة أمتار منه ، وفى عينيه نظرة متحدية قاسية ، دون أن يسعى للهرب منه ، وكأنه يدعوه إلى منازلته ، فصوَّب مسدسه فى اتجاهه ، قائلًا :

- ارفع يديك إلى أعلى .

لكن الرجل بدا كالصنم الأصم .. فلم يبد عليه أنه يسمع كلام (ممدوح) ، أو أنه مستعد لتنفيذ ما أمره به ، فقال له (ممدوح) :

- إننى أحذرك .. سأطلق عليك الرصاص ، لو لم تلتزم بما أقوله لك .

ولكن الرجل - بدلا من ذلك - بدا كما لو كان هناك شرر ينطلق من عينيه ، ونفث من فمه دخانًا رماديًا كثيفًا فى اتجاه (ممدوح) ، الذى أخذ يسعل بشدة ، وقد شعر بحالة من

الإعياء الشديد ، وهو يجثو على ركبتيه فوق الأرض ، دون أن يمنعه ذلك من إطلاق رصاص مسدسه ، وعندما استردّ وعيه ، كان الرجل قد اختفى من مكانه ، دون أن يبدو عليه أن هناك أى أثر لأية إصابة فيه ، فى حين كانت هناك على جبهته علامة حمراء ، تحمل رمز (إكس) .. كان من الواضح أنها رُسمت بدماء بشرية ..

وعندما وصل إلى الفندق أخبرته (ماريا) ، وهى تزيل من جبهته أثر هذه العلامة ، أنها تعنى أن الكاهن قد أصدر حكمه عليه ..

حكمًا بالإعدام .

★ ★ ★



٦ ـ رأس الشيطان ..

استقل (ممدوح) السيارة (الجيب) مع (ماريا) ، وهما يجتازان إحدى المناطق الدغلية الكثيفة الأشجار ، وسألها (ممدوح) قائلًا :

ـ ما زلت لا أفهم كيف استطاع ذلك الرجل أن ينجو من رصاصتى ، على الرغم من أننى أحكمت تصويبها إليه ، وكيف تمكّن من نفث هذا الدخان الكثيف من فمه ، الذى أصابنى بالضعف والوهن ؟

ابتسمت (ماريا) قائلة :

ـ ألم تدرك بعد ، أن هذا الشخص الذى طاردته ، كان هو الكاهن نفسه ؟

ونظر إليها بدهشة مردّدًا :

ـ الكاهن ؟!

ماريا :

ـ نعم .. إنه وحده الذى يمتلك تلك القدرات السحرية الفائقة ، ولا يحوزها أحد من رجاله .. إنه يستطيع التصدى لرصاصتك ونفث الدخان من فمه .

ممدوح :

- غير معقول .

وسألته (ماريا) قائلة :

- كيف بدا لك ذلك الشخص الذى واجهته ؟

ممدوح :

- طويل القامة .. نحيف .. شاحب الوجه .. له عينان عجيبتا الشكل ، وكأنهما ماسات متوهِّجة .

ماريا :

- أما الشخص الذى اقتحم غرفتى ، فكان أسود الوجه ، عريض المنكبين ، له عين واحدة ، والأخرى مطموسة تمامًا .. وهذا يعنى أنه إما أنك طاردت شخصًا آخر ، غير الذى اقتحم حجرتى ، أو أنك طاردت نفس الشخص ، ولكن عندما أدركته ظهر لك الكاهن بدلًا منه .. أو .. أو ..

وترددت قبل أن تقول :

- أو يكون الكاهن ، وذلك الرجل الذى اقتحم الحجرة ، هما ذات الشخص ، ولكن فى صورتين مختلفتين .

سألها (ممدوح) فى دهشة :

- فى صورتين مختلفتين .. ماذا تقولين ؟

ماريا :

- لقد سمعت بعض الأشياء عن قدرة (الكاهن جوس) ، على التحوُّل ، ليس إلى صورة شخص آخر فقط ، ولكن إلى صور مختلفة لكائنات أخرى .

ممدوح :

- ما هذه الخرافات ؟

ماريا :

- ما يبدو لك خرافة .. يردِّده البعض هنا على أنه حقائق مسلَّم بها ، فالكاهن - فيما يبدو - يحوز بعض القدرات السحريةَ بالفعل .

ممدوح :

- أنا لا أعتقد فى هذا .. فقد جابهت ذات يوم شخصية مماثلة لشخصية الكاهن هذا ، فى دولة (الجابون) ، حيث استطاع أن يقنع الأهالى هناك بقدراته السحرية الفائقة (١) ، وأخذ يصوِّر لهم بعض الأشياء غير الحقيقيَّة ، لإقناعهم بذلك ، ثم تبيَّن أن الأمر لا يعدو كون الرجل يمتلك القدرة على التنويم المغناطيسى ، وبعض الوسائل التكنولوجية المتطوِّرة ، التى وفرتها له إحدى أجهزة المخابرات

(١) ملحوظة : أقرأ العدد (٣٥) من المكتب رقم (١٩) (اللعنة السوداء) ، حيث تصدَّى (ممدوح) لـ (تشومبى) الساحر الأسود ، فى تلك المغامرة .

المعادية ، واستغل ذلك . فى التأثير على الأهالى والبسطاء ، لإيهامهم بأنه ساحر خارق للطبيعة .

ماريا :

ـ قد يكون ذلك صحيحًا ، بالنسبة لذلك الرجل فى (الجابون) ، أما هنا فأستطيع أن أؤكد لك أن الكاهن يمتلك قدرات سحرية حقيقية .

ممدوح :

ـ ما دام الأمر كذلك ، ألا تخشين من أن تتعرّضى لأخطار سحره ؟.

ماريا :

ـ إننى ألتزم بأداء واجبى أولًا ، قبل أن أدع نفسى للمخاوف ، التى تفت من عزيمتى ، ثم إن قدرات الكاهن تقل كثيرًا بدون الأيقونة السحرية ، وهذا ما سوف يجعله أكثر اعتمادًا على أتباعه ، من ذوى الأقنعة ، وأسلحتهم التقليدية فى المرحلة القادمة ، ولا أخفى عليك أننى أعرف وسيلة للقضاء على الكاهن على الرغم من مقدرته السحرية الخارقة .

أبدى (ممدوح) اهتمامًا ملحوظًا ، وهو يقول :

ـ وما هى هذه الوسيلة ؟

أجابته الفتاة بصوت خافت ، وكأنها تخشى أن يسمع أحد ما تقوله :

ـ عقله .. يجب أن تصوب سلاحك إلى رأسه مباشرة ، فقدراته الذهنية العالية ، التى تحرّك سحره ، تكمن فى مخه ، لذا يجب أن تصيب بسلاحك رأسه ، وأن تركّز على ذلك ، أما سائر أجزاء جسده الأخرى ، فيقال إنه لا تأثير لأى سلاح آخر عليها ، لذا فإننى أسمع أنه يحيط رأسه دائمًا بخوذة حديدية ، حتى يقيها من أية إصابة .

وتأملها (ممدوح) قليلًا ، وكأنه ينظر إلى فتاة مخبولة ، فتراجعت برأسها إلى الوراء ، وهى تنظر إليه بدورها قائلة :

ـ من الواضح أنك لا تصدقنى .. بل ربما تظننى مخبولة .

هز رأسه قائلًا :

ـ لا أخفى عليك أنه من الصعب تصديق ما تقولينه ، ثم إن الرجل الذى تعرض لى ، برغم أنه أتى ببعض الأفعال الغريبة ، التى لا يمكن تفسيرها حتى الآن ، إلا أنه لم يكن يضع أية خوذة فوق رأسه ، كتلك التى تتحدثين عنها .

ماريا :

ـ لقد سمح لك أن تصوِّب رصاصتك إلى صدره ، لأن

تركيزه الذهنى العالى جعله يدرك أنك ستصوب إلى هذا المكان ، قبل انطلاق رصاصتك ، ولو أيقن أنك ستصوِّب إلى رأسه ، لاختفى من أمامك على الفور .

ممدوح :

ـ ولكن لماذا لم يقتلنى ، وقد كان يمكنه أن يفعل ذلك بسهولة ، عندما سقطت أمامه مغشيًا علىَّ .

ماريا :

ـ لأنه يحب أن يلعب مع ضحاياه لعبة القط والفأر ، قبل أن يقضى عليهم .. يعذبهم ويخيفهم أوَّلا ، ثم يقتلهم فى النهاية .. لقد تحديته ، وهو لن يغفر لك مطلقًا ، فهو يكره الذين يتحدَّونه .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ إنك تتحدثين عنه ، كما لو كنت أحد أتباعه .

ماريا :

ـ فى عملى دائمًا أهتم بالعدو الذى سأواجهه ، وفى المهمة التى أؤديها معك الآن ، فإن عدوى هو ذلك الكاهن ، لذا فقد تحريت كثيرًا عنه ، قبل أن ألتقى بك ، وأعرف أن فيما يقال عنه بعض المبالغة وشيئًا من الخرافة ، لكن أيضًا هناك الكثير من الحقائق المذهلة ، حول شخص ذلك الرجل .. حقائق ربما يصعب تصديقها .

ممدوح :

ـ إذا كان الأمر كذلك ، فقد كان من الأحرى التخلص من ذلك الرجل منذ فترة طويلة ، فهو خطر يهدد جزءًا كبيرًا من (ريجونا) .

ماريا :

ـ لا أخفى عليك .. حتى حاكم هذا البلاد يخشاه .

قال لها (ممدوح) ، وقد بدا أنه ما يزال على عدم اقتناعه :

ـ على كل .. هذا يضفى بعض الإثارة الحقيقية على مهمتى هنا .

وفجأة توقَّفت (ماريا) عن القيادة ، وهى تقول لـ(ممدوح) :

ـ أنصت معى .

وأصغى (ممدوح) ، ليسمع صوت صفير حاد ، ينبعث من مكان قريب من موقعه ، يشابه ذلك الصفير ، الذى سمعه فى أثناء انسحاب أعوان الكاهن ، من القرية التى هاجموها ، فقال هامسًا :

ـ يخيل إلىَّ أننى قد سمعت هذا الصفير من قبل .

ماريا :

- إنهم أعوان الكاهن .. لابد أنهم كانوا يتعقبوننا ، وينوون مهاجمتنا الآن ، ما داموا قد أطلقوا صفيرهم .

ولم تكد تنتهى من عبارتها ، حتى وثب ثلاثة أشخاص من فوق الأشجار ، ليحيطوا بالسيارة الجيب ، فى حين قفز شخصان آخران فى السيارة ، نفسها وقد حمل كل منهما سيفًا حادًا ، ذا نصل لامع ، وفى اليد الأخرى سلسلة حديدية ، تنتهى بجمجمة بشرية تتدلّى من نهايتها ، وكانوا جميعًا كسابق عهدهم ، يضعون على وجوههم تلك الأقنعة المخيفة ، ويقفزون فى الهواء بحركات غريبة وتشنجية ، وأخذ الشخصان اللذان قفزا إلى سيارة (الجيب) يلوّحان بسيفيهما فوق رأس (ممدوح) و(ماريا) ، فنهض (ممدوح) من فوق مقعده ، وهو يستدير نحوهما ، محاولاً إخراج مسدسه ، لكن الشخص الذى كان يواجهه أطاح بالمسدس من يده ، بضربة قوية من سيفه ، فقفز (ممدوح) من فوق مقعده ، ليرتكز بإحدى يديه على حافة مسند المقعد ، وهو يوجه بمقدمة حذائه ركلة قوية إلى أمعاء غريمة ، أطاحت به من فوق المقعد الخلفى ، إلى خارج السيارة ، فى حركة بهلوانية غير عادية ، وهم الشخص الآخر بتوجيه ضربة من سيفه إلى رأس (ممدوح) ، بعد أن رأى ما ألحقه بزميله ، ولكن

(ممدوح) قبض على معصمه بقوة ، وهو يضع كتفه أسفل ساعد خصمه ، بحيث جعل هذا الساعد مشدودًا ومرتكزًا على كتفه ، وأخذ يضغط على ساعده ومعصمه فى قوة ، فى حين تحركت الفتاة بالسيارة سريعًا ، قبل أن يبدأ الثلاثة الآخرون فى الهجوم ، لتصدم أحدهم بمقدمة سيارتها ، مطيحة به بعيدًا .

ونجح (ممدوح) فى انتزاع السيف من يد خصمه ، بعد أن كاد ساعده يتحطم تحت ضغط كتف (ممدوح) وصلابة قبضته ، والتفتت الفتاة وراءها ، وهى تصرخ فى (ممدوح) قائلة :

- احترس من تلك الجمجمة المدلاة من سلسلته ، إن عظامها ملوثة بسم فتاك ، وبالفعل كان الرجل المقنع قد رفع السلسلة ، التى تنتهى بتلك الجمجمة فى يده الأخرى إلى أعلى ، وهو ينوى أن يضرب (ممدوح) بها على وجهه ، بعد أن فشل فى قتله بسيفه ، فتفادى (ممدوح) الضربة الموجهة إليه ، ليوجّه لكمة قوية إلى فك الرجل ، ثم تناول السيف الذى سقط على المقعد الخلفى للسيارة ، ليسدد له ضربة قوية إلى الجمجمة المدلاة فى نهاية السلسلة ، ليطيح بها بعيدًا عن السيارة ، فى حين أطبق على يده القابضة على

السلسلة ، ليلويها خلف ظهره بقوة ، جاذبًا يده الأخرى خلف ظهره أيضًا ، فى حركة بارعة ، ليقيّد الاثنين بالسلسلة الحديدية التى يحملها ، بعد أن وضع بها مشبكًا معدنيًا ، كان يحمله خصيصًا لمثل هذه المواجهات ، فأصبح الرجل مقيدًا داخل السيارة ، فدفعه (ممدوح) بقوة فى صدرة ، ليجلسه على المقعد الخلفى للسيارة ، قائلًا :

ـ والآن اهدأ يا صديقى ، واجلس قليلًا :

وفى تلك الأثناء كانت (ماريا .) قد انطلقت بسيارتها فى قوة ، مخترقة الأشجار والأعشاب الكثيفة المحيطة بهم ، للابتعاد عن هذا المكان ، وحاول أحد أعوان الكاهن اعتراض طريقهم ، وهو يحمل بندقيته ، ليصوبها فى اتجاه السيارة ، ولكن (ممدوح) دفع بالسيف الذى يحمله ، أثناء انطلاق السيارة ، ليصيب يد الرجل قبل أن تنطلق رصاصة بندقيته ، فيجبره على إسقاطها أرضًا ، وقد أمسك بيده متألمًا بشدة ، وما أن ابتعدت السيارة عن المكان ، حتى تراخى (ممدوح) على المقعد الخلفى ، إلى جوار الرجل الذى قيّده ، قائلًا :

ـ ها نحن أولاء قد حظينا أخيرًا بأسير ، من أعوان ذلك الشيطان .

استدارت الفتاة لتنظر إليه ، وعلى وجهها شبه ابتسامة قائلة :

ـ أهنئك يا سيادة المقدّم .. لقد كنت بارعًا فى مواجهة أولئك الأشرار ، وكان من الممكن ألا نخرج من هذه المنطقة الدغلية أبدًا ، لولا شجاعتك وبراعتك فى مواجهتهم .

ممدوح :

ـ أنت أيضًا تتمتعين بأعصاب فولاذية ، فقد تحركت بالسيارة فى الوقت المناسب ، دون أن تؤثر عليك المفاجأة .

وضحكت (ماريا) قائلة :

ـ لقد زاد رصيدك من التحدى لدى الكاهن ، فبعد أن أسرت أحد رجاله لن يقبل بأقل من رأسك ثمنًا لهذا .

وضحك (ممدوح) قائلًا :

ـ تأكدى أن هذا هو نفس شعورى نحوه ، ولو أنه كما تقولين يعتبر رأسه أغلى بكثير من أى رأس آخر .

قالت (ماريا) بلهجة جادة هذه المرة :

ـ لو كنت مكانك لأخذت الأمر بجدية أكثر من ذلك .

ممدوح :

ـ لماذا تتحدثين عنى وكأنى أخوض هذه الأمر بمفردى ؟.. لا تنسى أنك معى فى نفس الفريق .

ماريا :

ـ وهذا ما يدفعنى لأن أقول لك : أن تأخذ الأمر بجدية ..

لقد أصبح لدينا أسير ، وسيكون هذا الأسير هو وسيلتنا للوصول إلى رأس هذا الكاهن ، قبل أن تبلغ يده رأسينا .

وتوقفت بهم السيارة أمام منزل خشبى صغير ، محاط بمجموعة من الأشجار ، وقالت الفتاة :

ـ هذا هو مركز القيادة .

تطلّع (ممدوح) إلى مركز القيادة ، وانتابه ـ لأوّل مرة ـ شعور بأن المعركة لن تكون سهلة ..

لن تكون كذلك أبدًا .

★ ★ ★



٧ ـ مستنقع الموت ..

باءت كل محاولات (ممدوح) و (ماريا) مع الأسير ، لإجباره على الاعتراف بالمكان ، الذى يختفى فيه الكاهن العالم المصرى ، بالفشل ، إذ أنكر الرجل معرفته بذلك المكان بصورة مطلقة ، وسأله (ممدوح) :

ـ حسنًا يمكنك على الأقل أن تدلنا على المعبد السرى ، الذى يختفى فيه الكاهن وأعوانه .

ولكن الرجل أبى الإرشاد عن مكان المعبد ، قائلًا :

ـ وفر محاولاتك معى ، فلن أرشدك لمكان الكاهن ، بأى حال من الأحوال .

نظر (ممدوح) إلى الفتاة ، قائلًا :

ـ يبدو أنه لا فائدة :

وتأملت الفتاة الرجل قليلًا ، وهى تقول :

ـ بالطبع لن تكون هناك أية فائدة ، ما دمت تستخدم معه هذه الوسائل اللينة ..

(ممدوح) :

ـ ماذا تقترحين ؟

وأجابته الفتاة قائلة :

ـ هناك وسائل أخرى ، نستخدمها لحل عقدة لسان أشخاص من هذا النوع .

تأملها (ممدوح) بنظرة فاحصة قائلًا :

ـ لا تقولى إنك تنوين تعذيبه ، لإجباره على الاعتراف .

قالت (ماريا) وقد بدت ملامح الصلابة والجمود واضحة على وجهها :

ـ لست أنا .. ولكن لدينا متخصصين فى ذلك.

وصفقت بيديها فى قوة ، ففتح باب جانبى داخل المنزل الخشبى ، دلف منه ثلاثة أشخاص ضخام الجثة ، يرتدون الثياب العسكرية .

واقترب الرجال الثلاثة من الأسير وأعينهم تقدح شررًا ، فى حين هتف (ممدوح) ، الذى فوجئ بوجودهم قائلًا :

ـ من هؤلاء الأشخاص ؟

ابتسمت الفتاة قائلة :

ـ إنهم رجال تابعون لنا ، وهم متخصصون فى حل عقدة الألسن .

قال (ممدوح) منفعلًا :

ـ كلا إننى أدير هذه العملية ، وأنا لا أوافق على ذلك الأسلوب .

قالت الفتاة :

ـ هدئ من روعك يا سيادة المقدم ، ودعنا نمارس عملنا .

تقدم (ممدوح) من الرجال الثلاثة ، ليحول بينهم وبين الرجل ، خاصة عندما رآهم وهم يمسكون أدوات التعذيب ، ولكن أحدهم سدد فوهة مسدسه إلى رأس (ممدوح) ، وهو يجذبه من ياقة سترته جانبًا ، قائلًا :

ـ لقد أخبرتك (ماريا) أنه يتعين عليك أن تتركنا نمارس عملنا ، وأنا على نحو خاص أكره أن يتدخل أحد فى عملى ، فأرجو أن تلتزم الهدوء وتبتعد ، وإلا أصابك منا مكروه .

وجذبته الفتاة برفق من ذراعه ، قائلة بصوت ناعم :

ـ إنك لا تفهم طبيعة هؤلاء الأشرار ، من أعوان الكاهن .. إنهم مجموعة من القساة المتوحشين ، الذين لا يتورعون عن ارتكاب أى جرم ، وهم لا يعرفون سوى لغة القسوة والعنف ، لذا يتعين التعامل معهم بهذه اللغة ، إذا كنت تبغى حقًا الحصول منهم على بعض الاعترافات ، والوصول إلى مكان العالم المصرى المختطف .

(ممدوح) :

- ما زلت غير موافق على استخدام مثل هذه الوسائل .

ابتسمت الفتاة فى سخرية ، قائلة :

- انتظر حتى تقع بين أيديهم ، لترى ماذا سيفعلون بك ، ولتعرف أن وسائلنا - بالمقارنة بالوسائل التى يستخدمونها - وعلى رأسهم ذلك الكاهن الشرير ، تعد منتهى الرحمة والإنسانية .

ولم يستغرق الأمر طويلًا ، إذ اضطر الرجل ، تحت وطأة التعذيب ، إلى الاعتراف بمقر الكاهن وأبدى استعداده لإرشادهم إليه ، ولكن كان من الواضح أنه كان صادقًا ، حينما نفى معرفته بمكان العالم المصرى المختطف ، إذ أن نفرًا قليلًا من أعوان الكاهن فقط ، هم الذين كانوا يعرفون المكان ، الذى أخفى فيه الكاهن العالم المصرى ، ولم يكن هذا الشخص من بينهم ..

ونظرت (ماريا) إلى (ممدوح) قائلة :

- ما رأيك ؟.. ها نحن أولاء قد وجدنا مرشدًا ، يقودنا إلى معبد الكاهن السرى :

(ممدوح) :

- ماذا تقصدين بنحن ؟

(ماريا) :

- لا أعتقد أنك تفكر فى الذهاب إلى ذلك المكان بمفردك .

(ممدوح) :

- هذا هو ما أنوى فعله بالتحديد .

(ماريا) :

- وهذه هى الحماقة بعينها ، فليس من البطولة فى شىء أن تذهب لمواجهة جماعة من المتوحشين ، وعلى رأسهم ساحر شرير ، فى عقر دارهم بمفردك ، فى حين أنه يمكنك أن تصطحب معك كتيبة مسلحة من رجال الكوماندوز ، المدربين على اقتحام تلك الأماكن الموحشة .

(ممدوح) :

- إن العدد الكبير من الأشخاص يلفت النظر دائمًا ، وهذا يعنى أننى أخاطر بحياة العالم المصرى ، لو ذهبت على رأس فريق من الرجال المسلحين .

(ماريا) :

- وأنت أيضًا تخاطر بحياة كليكما ، لو أصررت على الذهاب إلى ذلك المكان بمفردك .

(ممدوح) :

- المخاطرة هى جزء من عملى .

(ماريا) :

ـ على الأقل دعنى أذهب معك ؛ لأغطى دخولك إلى المكان وخروجك منه ، فأنا أيضًا مكلفة خوض هذه المخاطرة معك .

حدَجَها (ممدوح) بنظرة فاحصة ، قائلًا :

ـ شيء غريب حقًا .. كنت تحذرينني منذ قليل من الذهاب إلى ذلك المكان الرهيب ، والآن تريدين أن ترافقيني في الذهاب إليه !.. ألا تخشين مغبة ذلك ؟

(ماريا) :

ـ كنت أفضل بالطبع لو ذهبنا برفقة عشرات من الرجال المدججين بالسلاح ، ولكن ما دمت تصر على رفض ذلك ، فعلى الأقل أكون برفقتك .. ربما كنت ذات نفع لك .

صمت (ممدوح) برهة ، وهو ينظر إليها متأملًا .. ثم قال :

ـ ربما كنت محقة فيما تقولينه ، ولكنى أفضل أسلوبًا آخر .. ستكونين على مسافة قريبة من المكان ، الذى سأذهب إليه ، وتكون وسيلة الاتصال بيننا هى اللاسلكى ، فعندما أحتاج إليك سأستدعيك فى الوقت المناسب .

(ماريا) :

ـ حسنًا .. أنت قائد هذه العملية .

ثم نظرت إلى أحد زملائها قائلة :

ـ أعتقد أن لدينا أجهزة اللاسلكى المطلوبة .. أليس كذلك ؟

★ ★ ★

اجتاز (ممدوح) منطقة شديدة الوعورة ، مخترقًا الأحراش الكثيفة ، وبصحبته الأسير ، حتى وصلا إلى كهف تغطيه النباتات الكثيفة ، ويقف على حراسته شخصان مسلحان ضخما الجثة ، وأشار له الأسير على الكهف ، قائلًا :

ـ هذا هو المكان .

قال (ممدوح) ، وهو يحتمى بإحدى الأشجار الضخمة ، التى تواجه الكهف :

ـ استدع الحارسين إلى هنا .

أجابه الرجل :

ـ لن يبارحا مكانيهما أمام الكهف ، بأى حال من الأحوال ، فهما مكلفان حراسته بعين يقظة متأهبة ، من قبل الكاهن ، ولن يحيدا عن مهمتهما مطلقًا وإلا تعرّضا لغضبه ، فإذا



قال (ممدوح) ، وهو يحتمى بإحدى الأشجار الضخمة ، التى تواجه الكهف : ـــ استدع الحارسين إلى هنا ..

تعرض الكهف فقط لأى عدوان ، فستجدهما يتحركان كالنمور المفترسة .

حل (ممدوح) رباطه قائلًا :

ـ حسنًا .. لكنهما لن يحولا بينك وبين الاقتراب من الكهف ، باعتبارك أحد أعوان الكاهن ، كما أنهما لابد أن يستفسرا منك عن سبب تخلفك عن الحضور مع الآخرين لمقابلة الكاهن ، وكل المطلوب منك أن تشغلهما بالحديث ، وأن تقول لهما كل ما يعن لك أن تقوله ، دون أن تحاول لفت أنظارهم نحوى ، والا تعرضت للأذى ، فالمسدس ما يزال بيدى ، وستجد إحدى رصاصاته وقد استقرت فى ظهرك ، قبل أن تقدم على أية محاولة للفت الأنظار ..

وتقدَّم الرجل نحو الكهف بخطوات متردِّدة ، فى حين كان (ممدوح) يأمل أن يسبب ذهاب الرجل فى اتجاه الكهف فقط شغل أنظار الحارسين العملاقين ، ولو لبرهة من الوقت ، وبالفعل تحقق له ما أراد ، إذ ما إن تقدم الرجل فى اتجاه الحارسين ، حتى استرعى انتباههما ، وأسرعا يسألانه عما ألمّ به ، وعن سر احتجابه هذه الفترة عن الحضور إلى الكهف ، وعلى الفور كان (ممدوح) قد أفرغ خزانة مسدسه من رصاصاتها ، واضعًا ثلاث رصاصات من نوع آخر

مكانها ، ثم ركب ماسورة أخرى أكبر حجمًا على ماسورة المسدس الأصلية ، وصوَّب رصاصتين مخدرتين سريعتين إلى الأسير والرجل الذى يقف على يمينه ، فتهاوى الرجلان فى الحال فاقدى الوعى ، وأدى سقوطهما المباغت على هذا النحو إلى إثارة انتباه زميلهما الثالث ، فنظر فى الاتجاه الذى جاءت منه الطلقات ، وهو يتأهب بسلاحه لإطلاق الرصاص ..

ولم يكن (ممدوح) راغبًا - بأى حال من الأحوال - فى أن يطلق الرجل رصاصاته .. لا خوفًا من القتل فقط ، ولكن أيضًا حتى لا يثير الانتباه إلى وجوده ، وأصبح اعتماده على الرصاصة الوحيدة ، التى تبقت فى خزانة مسدسه ، وعلى دقة تصويبه وسرعته المعهودة فى استخدام السلاح ، فلو أخطأت هذه الرصاصة ، فإن موقفه سيصبح صعبًا للغاية ..

وبالفعل تحقق له ما أراد ؛ إذ انطلقت رصاصته المخدِّرة بسرعة فائقة ، لتغادر ماسورة مسدسه ، وتستقر فى صدر الحارس المسلح ، الذى تهاوى على الأرض ، قبل أن تلمس سبابته زناد سلاحه ..

ووضع (ممدوح) على وجهه قناع الأسير ، ثم تقدم داخل الكهف المظلم ..

لم يكن بالكهف من الداخل أى أثر لأية حياة ، فلم يكن يزيد عن أى كهف من تلك الكهوف الموحشة ، ذات الجدران الحجرية ، التى ترجع إلى عدة مئات بل ربما لعدة آلاف من السنين ، كما أنه كان ضيقًا من الداخل ، ولا يزيد اتساعه على حجم غرفة صغيرة ، ولكن شيئًا ما أثار اهتمام (ممدوح) ، وهو يتحسس جدران المعبد الحجرية ؛ فقد بدت فى جزء منها رخوة بعض الشىء ، ومختلفة عن بقية الأجزاء الصلبة لجدران الكهف الحجرية ، فأخذ (ممدوح) يمرِّر يده على ذلك الجدار الرخو من الكهف ، حتى تبيَّن له أنه مصنوع من مادة مطاطية ، وإن كانت لا تختلف فى مظهرها الخارجى كثيرًا عن بقية الجدار الحجرية للكهف ، وواصل تحريك يده فوق الجدار المطاطى ، حتى لامست أصابعه حافة ضيقة ، تفصل بينه وبين بقية الجدران الأخرى ، ولا ترى بالعين المجردة ، فمرر أصابعه داخل هذه الفتحة الضيقة ، حتى كادت تنحصر داخلها ..

وفجأة تحرك الجدار من مكانه حركة دائرية ، كاشفًا فجوة كبيرة خلفه ، وشعر (ممدوح) بالدهشة ، وهاله أن يرى ، عبر هذه الفجوة ، وعلى ضوء المشاعل المتراصة على الجانبين ، صورة واضحة لمعبد الشيطان ، حيث يمارس

الكاهن سحره وطقوسه ، فتقدم وهو منبهر عبر الفجوة ، متجهًا نحو المعبد ، ولكن سرعان ما وجد قدميه تغوصان داخل مستنقع طينى متحرك إذ كما كان الجدار الحجرى للكهف زائفًا ، ويختلف عن بقية الجدران الأخرى فى كونه مصنوعًا من مادة مطاطية متحركة ، فإن الأرض أسفل قدميه أيضًا ، وفى البقعة التى هوى فيها ، وهو يغوص فى الوحل المتحرك ، كانت أيضًا زائفة ، وكانت معدة لابتلاع أمثاله من الدخلاء ..

واحتوائهم إلى الأبد ..

★ ★ ★



٨ ـ الأنياب القاتلة ..

غاص (ممدوح) فى المستنقع الطينى حتى خصره ، وفجأة وجد قاعدة خشبية تتحرك من أحد جانبى الجدار ، داخل الفجوة التى عبرها ، وهى تكاد تصطدم بعنقه ، لتدفع به إلى الجهة الأخرى من جدار الفجوة ، ووجد نفسه أمام حالة من اثنتين : إما أن يغوص برأسه إلى أسفل ، لتمر هذه القاعدة فوقها ، وينتهى به الأمر إلى الغرق فى هذا المستنقع الطينى ، وإما أن يظل محتفظًا برأسه لأطول وقت ، فوق هذا الوحل المتحرك ، تشبثًا بالنجاة من الغرق ، فيترك هذه القاعدة تصطدم بعنقه ، وتخنقه فى جدار الفجوة ، فيكون الموت هو مصيره أيضًا ، ولكن بوسيلة مختلفة .

ولكن (ممدوح) لم يكن مستعدًا للاستسلام لأحد الاحتمالين ، وهو صاحب العزيمة القوية والإرادة التى لا تلين ، فعمل على رفع يديه إلى أعلى ، مقاومًا ثقل الطين اللزج ، الذى يكاد يبتلع جسده فى أعماقه ، وهو يراقب حركة القاعدة الخشبية البطيئة فى اتجاهه ، والتى أخذت تدفع عنقه أمامها فى اتجاه الجدار الحجرى ، ولم يكد يتمكن من تحرير يده ، ورفعها عاليًا ، حتى تشبث بالقاعدة الخشبية

المتحرِّكة ، واستخدمها كوسيلة للارتكاز ، لكى يدفع جسده من الطين الثقيل اللزج إلى أعلى قافزًا فوق القاعدة ..

وبجهد غير عادى تمكَّن (ممدوح) من القفز فوق القاعدة الخشبية ، فى اللحظة الأخيرة ، حيث لامست حافتها الجهة الأخرى من الجدار ، لتصبح ثابتة من الاتجاهين ، وقد توقَّفت عن الحركة ، وجلس (ممدوح) يلهث فوق القاعدة الخشبية ، وهو يحاول إزاحة ما علق بثيابه وجسده من الطين اللزج ، وظل جالسًا فى مكانه برهة من الوقت ، دون أن يصدِّق أنه قد نجا ، من هذه الميتة الغريبة التى كانت تنتظره ، وقال لنفسه وهو يتحسس القاعدة الخشبية أسفله :

- إذن فهذه هى الوسيلة ، التى يستخدمها ذلك الشيطان وأعوانه ، لاجتياز ذلك المستنقع الطينى ، والعبور إلى المعبد ، ففى اللحظة التى يحركون فيها جدار الكهف الصناعى ، يتوقفون لبضع لحظات ، حتى تتحرك تلك القاعدة الخشبية ، تبعًا لحركة جدار الكهف ، ثم يستخدمونها كوسيلة لعبور الفجوة المؤدية إلى المعبد ، دون أن يقعوا فى شرك المستنقع الطينى ، أما الغرباء والدخلاء ، ممن يجهلون أسرار هذا الشرك ، فإنهم ينخدعون بالمظهر الخارجى لهذا المستنقع ، والذى يشبه أرضًا ترابية ، فيتركون أنفسهم

يعبرونه بسذاجة ، ليبتلعهم الطين اللزج ، أو تدق أعناقهم فى الجدران الصلبة ..

وتمكَّن (ممدوح) - بقدر المستطاع - من إزاحة جزء كبير من الطين الذى علق بثيابه ، ثم عبر القاعدة الخشبية إلى الممر الترابى الطويل الممتد أمامه ، والمؤدى إلى معبد الشيطان ، والذى تظلِّله المشاعل من الجانبين ، فى مشهد مهيب مخيف ..

وفجأة برز له ، من وراء المشاعل المعلقة فوق حامل معدنى ، أحد أصحاب الأقنعة الشيطانية ، وهو يصرخ ، ويدق الأرض تحت أقدامه ، فى حركات هستيرية غريبة ، فاستعد (ممدوح) لمواجهة الرجل ، ولكنه وجده لدهشته ينصرف عنه ، وهو يعود من حيث أتى ، مواصلًا صراخه ورقصاته الهستيرية ، وواصل (ممدوح) طريقه ، فبرز له من الجانب الآخر شخص آخر ، بنفس الهيئة الغريبة والرقصات الهستيرية المفزعة ، ثم لم يلبث أن عاد بدوره من حيث أتى .. وتكرر هذا المشهد الغريب أمام (ممدوح) مرتين أخريين ، دون أن يحاول أحد من أولئك الأشخاص اعتراض طريقه ، أو منعه من مواصلة سيره فى اتجاه المعبد ، وعزا ذلك إلى قناع الأسير ، الذى يضعه فوق

وجهه ، وأنهم ربما ظنوه أحدهم ، فلم يحاول أى منهم اعتراض طريقه ، ولكن ملابسه التى ما تزال بها آثار الطين اللزج ، كان لابد أن تلفت أنظارهم وتثير ريبتهم فيه ، وفى حقيقة شخصيته ، فلابد أنهم جميعًا يعرفون حقيقة شرك المستنقع الخداعى ، ولو كان أحدهم لما ترك نفسه يسقط فى هذا الشرك ، بمثل هذه السهولة ، حتى لو كان فوق وجهه أحد أقنعتهم ، لكن (ممدوح) لم يحاول أن يجهد نفسه كثيرًا فى تفسير عدم تعرضهم له ، والحيلولة بينه وبين مواصلة طريقه فى اتجاه المعبد ، فقد حصر كل تركيزه واهتمامه فى النفاذ إلى هذا المعبد ، والبحث عن الدكتور (فؤاد) ، واستقبله فى الداخل بهو مظلم ، لمح فى نهايته بصيصًا من الضوء ، وحينما وصل إلى هذه النقطة المضيئة وجدها عبارة عن كوة صغيرة ، نظر من خلالها ليرى أمامه مشهدًا غريبًا ، لم ير له مثيلًا من قبل ..

كان هناك أكثر من خمسين رجلًا اصطبغت وجوههم وأجسادهم بألوان مختلفة ، وقد وضعوا فوق رؤوسهم جماجم بشرية ، يصرخون صراخًا هستيريًا ، وهم يقفزون فى الهواء ، ويرقصون على النحو الذى رأى عليه أولئك الرجال ، الذين برزوا له من وراء المشاعل ، ولكن بطريقة

أشد عنفًا وجنونًا ، ملتفين حول قاعدة رخامية تشبه المذبح ، واستطاع أن يتبيَّن ، من خلال حركاتهم الدائرية ، حول تلك القاعدة الرخامية ، أن هناك جسدًا لامرأة ممددة فوقها ، وقد قيدت بالحبال ..

ودقَّق (ممدوح) النظر ، وهو يحاول الاطلاع على وجه المرأة ، من بين تلك الأجساد الراقصة فى هستيرية ، ولدهشته الشديدة وجد أنها (ماريا) ، التى كان يبدو على وجهها فزع حقيقى ، لم تفلح صلابتها فى إخفائه ..

ومد (ممدوح) يده عبر الكوة ، محاولًا البحث عن وسيلة لفتح الباب ، وفجأة وجد يدًا تقبض على رسغه فى قوة ، من وراء الباب ، لتحجزها بالداخل ، وحاول أن يسحب يده من الكوة دون جدوى ، فقد كانت اليد القابضة على رسغه من القوة ، بحيث حالت بينه وبين القدرة على ذلك ، ودفع أحدهم جمرة ملتهبة إلى راحة (ممدوح) ، بعد أن قلبها إلى أسفل ، ثم ضغط بنفس الأصابع القوية ، التى قبضت على رسغه من قبل ، على راحته من الخلف ، لتجعله يقبض على الجمرة الملتهبة .

وصرخ (ممدوح) من شدة الألم ، وأحسّ براحته تحترق من حرارة الجمرة ، ثم لم تلبث هذه اليد القوية أن تخلت عن

يد (ممدوح) ، لتسقط منه الجمرة على الأرض ، فجذب يده عبر الكوة ، وهى ترتعد من شدة الألم ، الذى أحدثته بها الجَمرة الملتهبة ، ووضع راحة يده الأخرى على ظهر يده المحترقة ، وقد تحولت الرعدة إلى جسده كله ، بعد أن زاد إحساسه بالألم ..

وفجأة فتح الباب ووجد أمامه عملاقًا يناهز المترين ، ويتدلى حول شفتيه شارب طويل ، وعلى وجهه ابتسامة شيطانية ..

لقد كان هو ذات الشخص ، الذى ألحق به ذلك الألم ، الذى لا يطاق ..

وهمّ (ممدوح) باستخدام سلاحه ، بوساطة يده السليمة ، فى مواجهة ذلك العملاق ، ولكن الرجل اعتصر رسغه بين يده الضخمة الغليظة ، قبل أن تلمس السلاح ، ثم نزع هذا السلاح منه ليطيح به بعيدًا ، وجذبه من ياقة سترته ليدفع به إلى الداخل ، حيث يوجد أولئك المهووسون ، الذين يلتفون حول المذبح ، الذى تمددت فوقه (ماريا) ، وظل العملاق يدفع (ممدوح) أمامه فى قوة ، ليجتاز تلك الدائرة من الراقصين المهووسين ، وقد التقت نظراته بنظرات (ماريا) ، التى كانت ممدَّدة فوق القاعدة الرخامية فى استسلام ، وتبين

له مدى الرعب الكامن فى عينيها ، وما أن ابتعد (ممدوح) عن المذبح بمترين فقط ، حتى وجد أمامه هالة من الدخان الكثيف ، الذى أخذ يتلون بألوان متعددة ، وما أن انقشع هذا الدخان ، حتى ظهر من بينه الكاهن (جوس) ، وهو يتدثر بعباءة حمراء ، بنفس الصورة التى رآه عليها ، أثناء مطاردته له ، فى المنطقة الدغلية القريبة من الفندق .. طويل القامة .. نحيف .. شاحب الوجه له عينان تشبهان الجمر المتوهُج ..

وأطلق الكاهن ضحكة مجلجلة ، قائلًا :

ـ مرحبًا بك فى معبدى أيها المصرى المغامر ، لقد تجاسرت وتحديتنى ، وسوف أجعلك تدفع ثمن ذلك ، كما دفعه من قبلك الشيخ (عبد الله) ، فلا يوجد شخص على وجه الأرض يمكنه أن يتحدى الكاهن (جوس) ، ويبقى على قيد الحياة .

ونظر فى اتجاه المذبح ، قائلًا :

ـ وكما ترى ، فإن صديقتك قد أصبحت فى قبضتى أيضًا .. إن أتباعى يتلهفون إلى تحويلها إلى أجزاء متناثرة ، بإشارة واحدة من يدى .

وقال (ممدوح) بثبات :

ـ افعل ذلك ، فتفقد أيقونتك السحرية إلى الأبد .

الكاهن :

ـ لا تنس أن العالم المصرى ما زال بين يدىّ ، وحكومتك لن تفرّط فيه بسهولة ، مقابل أيقونة لن تحقق لهم شيئًا ، ولا يعرفون أسرارها كما أعرفها أنا .. سأنتهى منكما أوّلًا ، ثم أبدأ فى المساومة معهم من جديد .

(ممدوح) :

ـ الأيقونة معى ، ولكن ليست هنا .. لقد سلمتها لى حكومتى قبل أن آتى إلى (ريجونا) ، لتسليمها إليك مقابل استعادة العالم المصرى ، وذلك فى حالة إخفاقى فى تنفيذ مهمتى ، وإنقاذه بنفسى ، وقد احتفظت بها فى مكان تجهله أنت وأعوانك ، وأصبحت صلة حكومتى منقطعة بها منذ تلك اللحظة ؛ لأن المسئولين فى بلادى يجهلون أيضًا المكان الذى أخفيت فيه الأيقونة ، وهكذا فإنه فى حالة عدم مغادرتى لهذا المعبد ، ومعى الفتاة والعالم المصرى سالمين ، فلن يمكنك استرداد هذه الأيقونة قط .

وجحظت عينا الكاهن ، وهو ينظر إلى (ممدوح) بغضب ، قائلًا :

ـ ما زلت تتحدانى .. وأنا أكره التحدى .

وألقى شيئًا فى يده تحت قدمى (ممدوح) ، فانطلق مرة أخرى ذلك الدخان الرمادى الكثيف ، الذى تعرّض له من قبل ، ليتصاعد تحت ساقيه ويحتويه ، وعاودته حالة الإعياء السابقة .. ثم تخاذلت ساقاه ، ليتهاوى على الأرض فاقد الوعى ..

★ ★ ★

استردّ (ممدوح) وعيه ، وأحسّ بخيالات غريبة تدور حوله ، وأدرك أنه يتعرض لإحدى تلك الألاعيب السحريّة ، التى يجيدها الكاهن ..

كان ممددًا على المذبح ، إلى جوار (ماريا) ، وقد قُيِّدت يداه وقدماه بدوره ، وكانت الفتاة غائبة عن الوعى تقريبًا ..

واستقر فى ذهنه شىء واحد ، هو أن يجاهد للاحتفاظ بعقله سليمًا ، دون الوقوع تحت تأثير الكاهن ، بقدر ما يمكنه من مقاومة ، فلو أنه تمكن من عقله ، فسوف يعرف بالطبع أن ما قاله له بشأن الأيقونة ، واحتفاظه بها ، كان غير صحيح ، وهذا يعنى هلاكه وهلاك الفتاة والعالم المصرى ، فما يبقيه على قيد الحياة ، حتى هذه اللحظة ، هو والفتاة ، أن حيلته مع الكاهن قد نجحت ، وهو يريد الوصول إلى مكان

الأيقونة بأية وسيلة ، وتزايدت الخيالات التى تراءت أمام عينيه ، فقد أخذت تمر أمامه أطياف لأشكال مختلفة ذات ألوان صارخة ، ولكنه أشاح بوجهه عنها ، وهو ينظر فى اتجاه الفتاة هامسًا :

- (ماريا) .. (ماريا) ..

فتحت الفتاة عينيها بصعوبة ، وهى تنظر فى اتجاهه ..

كان من الواضح أنها فى حالة إعياء بالغة ، حتى أنها لم تقو على الرد عليه ، وكل ما فعلته أنها أخذت تجاهد فى فتح عينيها المتثاقلتين ، فعاد يهمس لها :

- هل ألحقو بك أى أذى ؟

قالت بصوت واهن :

- لا أدرى .. إننى أشعر بضعف شديد ، ولو أنهم لم يلحقوا بى أذى كبيرًا حتى هذه اللحظة ، فمن المؤكد أنهم سيفعلون ذلك لاحقًا .

قال مهدئًا :

- لا تخافى .. سأعمل على انقاذك من هذا المكان ، على الرغم من أنك خالفت الاتفاق المعقود بيننا ، وجئت إلى هنا .

(ماريا) :

- لقد أردت مساعدتك .

وفجأة مرّ بينهما طيف سريع ، لشكل غير واضح المعالم ، متعدّد الألوان ، فأدار (ممدوح) وجهه إلى الجهة الأخرى ، حتى لا يتعرَّض لأى تأثير سحرى ، ناتج عن مرور هذا الطيف ، ثم عاد ينظر إلى الفتاة ، التى قالت له :

- هناك مجموعة مكونة من خمسة عشر رجلًا ، من الرجال المدربين على الأعمال الانتحارية ، من رجال القوات الخاصة ، على مقربة من هذا المعبد ، وعلى استعداد لاقتحامه ، بمجرد تلقى إشارة لاسلكية منى ، لتحرير العالم المصرى وتحريرنا .. لكن المشكلة أنهم جردونى من جهاز اللاسلكى الذى أحمله .. وأصبحنا الآن تحت رحمتهم ورحمة كاهنهم تمامًا .

(ممدوح) :

- لا تيئسى .. سأجد الوسيلة لإخراجنا من هنا .

وفجأة رأى (ممدوح) حجرًا ضخمًا ، يهوى من سقف المعبد ، نحو القاعدة الرخامية ، التى يتمددان فوقها ، فصرخ :

- احترسى .

ولكن تحذيره جاء بلا فائدة ؛ إذ هوى الحجر فوق جسد الفتاة ليغطيه تمامًا ؛ وأغمض (ممدوح) عينيه من قسوة المشهد ، ثم عاد يفتحهما ، وهو ينظر إلى ذراع الفتاة الممدودة أسفل الحجر الضخم بلا حراك ، ولدهشته الشديدة



ثم فجأة انفرجت شفتاها ، لتكشف عن أنياب طويلة حادة ، وكأنها قد تحولت إلى إحدى الشخصيات ، التى تظهر فى أفلام مصاصى الدماء ..

وجد أصابع يديها تتحرك ، فتنقبض وتنبسط فى حركة متتالية ، جعلته يغمغم فى ذهول ..

ـ مستحيل !!

كان يعلم أن حجرًا ضخمًا كهذا ، كفيل بتحطيم عظام الفتاة تمامًا ، وتحويلها إلى جثة هامدة ، فى لحظة واحدة ، لذا فقد فغر فاه وهو يسمع ضحكة الفتاة مجلجلة أسفل الحجر الضخم ، ثم رآها تُخلّص يدها من قيودها بسهولة ، ثم ترفع الحجر الضخم عن جسدها بطريقة أسهل ، لتطيح به بعيدًا ، وعلى وجهها ابتسامة غريبة وتحولت بنظراتها إليه ، وهى محتفظة على وجهها بتلك الابتسامة ..

ثم فجأة انفرجت شفتاها ، لتكشف عن أنياب طويلة حادة ، وكأنها قد تحولت إلى إحدى الشخصيات ، التى تظهر فى أفلام مصاصى الدماء ، واقتربت الفتاة منه بأنيابها ، وقد تبدلت ابتسامتها إلى تكشيرة مخيفة ، وصرخ (ممدوح) ، وهى تقترب بأنيابها من عنقه :

ـ لا .. لا .. ابتعدى عنى .

ولكن الأنياب الحادة ازدادت قربًا من عنقه ، وأصبحت على وشك أن تنغرس فيه ، دون أن يملك لها دفعًا ، وهو مقيد من يديه وقدميه على هذا النحو ..

وهوت الأنياب الحادة على عنقه ..

واستعد للموت .

★ ★ ★

٩ ـ مذبح الشيطان ..

أغمض (ممدوح) عينيه ، وهو يشعر بحالة من الإعياء البالغ ، ثم عاد يفتحهما ، وهو يظن أنه سيرى تلك الأنياب وقد انغرست فى عنقه ، ولكن لدهشته البالغة رأى الفتاة راقدة إلى جواره على المذبح ، على الصورة التى رآها عليها من قبل ، وهى تنظر إليه باستغراب ، ودون أن يبدو أى أثر لذلك الحجر الضخم ، الذى هوى من السقف ، أو لتلك الأنياب الوحشية ، التى كانت أن تغرسها فى عنقه ، وازدادت دهشته عندما وجد تلك القيود ما تزال ملتفّة حول يديها وقدميها ، على الرغم من أنه رآها منذ لحظات تتخلص منها ، وهتف قائلًا :

ـ غير معقول !.. غير معقول !

سألته الفتاة بدهشة :

ـ لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟ وما هو هذا الشئ غير المعقول ؟

وقال لها (ممدوح) ، وهو يتطلّع بنظرات ذاهلة :

ـ لقد كنت منذ قليل .. لقد رأيتك وأنت ...

وقالت له الفتاة باستغراب :

ـ (ممدوح) ماذا أصابك ؟

وألقى (ممدوح) برأسه على القاعدة الرخامية ، وهو يتطلّع إلى السقف ، قائلًا :

ـ لقد رأيتك ترفعين حجرًا ضخمًا ، هوى عليك من هذا السقف ، ثم رأيتك وقد برزت لك أنياب حادة طويلة ، كنت تهمين بغرسها فى عنقى .

وقالت الفتاة بدهشة :

ـ ما هذه الخزعبلات ؟ حجر ضخم .. وأنياب .

(ممدوح) :

ـ يبدو أننى تعرضت لألاعيب الكاهن السحرية .. إنه يحاول التأثير على عقلى ، فيوهمنى بأشياء غير حقيقية .

وفجأة وجد الكاهن ماثلًا أمامه ، وعلى وجهه ابتسامة شيطانية ، قائلًا :

ـ ان لك عقلًا ذكيًا أيها المصرى ، وأرى أنه من الخسارة أن أدمره ، وأناقادر على ذلك لو أردت .. قل لى : أين الأيقونة ؟

قال له (ممدوح) بإصرار :

ـ لن تحصل عليها قبل أن تخلى سبيلى وسبيل (ماريا) ، والعالم المصرى .

الكاهن :

ـ سأفعل ، ولكن بعد أن أحصل على الأيقونة أولًا .

(ممدوح) :

ـ وأنا لن أعطيها لك ، قبل أن تغادر الفتاة والعالم المصرى المعبد ، وأطمئن على وصولهما لمكان آمن .

قال الكاهن مزمجرًا :

ـ حسنًا .. سأجبرك على تقديمها لى ، بل سأجعلك تتسول لكى آخذها منك .

وقام بعمل بعض الحركات بأصابع يديه ، فاشتعلت النيران حول المذبح ، الذى يرقد عليه (ممدوح) والفتاة ، وقال الكاهن بصوت هادر كالرعد :

ـ هذه النيران حقيقية ، وليست خيالات كما تظن ، وبإمكانى أن أجعلها تزداد ، لتحرقك وتحرق زميلتك ، بإشارة واحدة من يدى .

ونظر (ممدوح) والفتاة إلى النيران المتوهِّجة حولهما ، وقد أخذت تتطاير منها الشرارات فوق رأسيهما ، وأخذ العرق يتصبب منهما غزيرًا ، حتى صرخت الفتاة قائلة :

ـ كفى .. كفى .

وبإشارة واحدة من يده خمدت النيران ، ونظر إليها بعينيه تتألقان كبريق الماس ، قائلًا :

ـ ما زال لدى المزيد من وسائل اللهو .. إذا أردت أن أتوقف اطلبى من زميلك أن يكون أكثر تعقّلًا ، ويخبرنى بمكان الأيقونة .

قالت الفتاة ، وهى تتصبَّب عرقًا :

ـ أنا أعرف مكان الأيقونة ، وبإمكانى أن أحضرها لك ، لو تركتنى أغادر هذا المعبد .

ضحك الكاهن بسخرية ، وقال :

ـ يبدو أنك لا تقلين ذكاءً عن زميلك ، يؤسفنى يا آنستى أنك لست على درجة كافية من الوفاء ، هأنتذى تريدين الهرب من المصيدة ، التى أوقعت نفسك فيها ، تاركة زميلك لمصيره البائس .

قالت (ماريا) :

ـ يمكنك أن تستخدم موهبتك السحرية ، لتعلم إن كنت أكذب أم لا ، ولكنك لن تستطيع أن تستخلص منى شيئًا عن المكان الذى أودعت فيه الأيقونة ، لأننى أنا نفسى لا أعرف هذا المكان ، ودورى هو الحصول عليها ، من الشخص الذى يحتفظ بها ، ثم إحضارها إليك فى ظرف ثمان وأربعين ساعة .

ثم استدركت قائلة :

ـ ولكن بشرط أن تتم بيننا مبادلة الأيقونة ، مقابل الإفراج عن (ممدوح) والعالم المصرى .

صمت الكاهن قليلًا ، ثم قال :

ـ وما الضمان لأنك ستلتزمين باتفاقك ، وتحضرين الأيقونة إلى هنا ؟

أجابته الفتاة قائلة :

ـ إن لديك ضامنًا آخر ، وهو المقدَّم (ممدوح) نفسه ، فهو أيضًا يعرف مكان الأيقونة ، ويمكنك أن تجبره على الاعتراف لك بهذا المكان ، إذا لم أحضرها لك خلال الثمان والأربعين ساعة المحددة .

الكاهن :

ـ حسنًا .. سأعتمد على كلمتك ، ولكن المبادلة لن تكون هنا فى المعبد ، بل فى انمكان الذى سأحدِّده لك بالأدغال ، وحذار أن تخدعينى ، فسوف تنالين عقابى فى أى مكان تذهبين إليه ، أما عن الأيقونة ، فسوف أستردها فى النهاية ، سواء أحضرتِها أم لم تفعلى .

(ماريا) :

ـ سترى أننى ألتزم معك باتفاقى ، والآن حرِّر قيودى ، ولا تضيع الوقت .

الكاهن :

ـ ليس الآن .. ستغادرين المعبد فى جنح الظلام ، ومعك أحد أعوانى ، ليوصلك إلى حدود الأدغال .. أمامك بضع ساعات ، تراجعين فيها نفسك ، فإذا كان الأمر منك مجرد خدعة ، فيتعيَّن عليك أن تتراجعى وتعتذرى عنها ، وتتركينى أتعامل مع زميلك ، أما إن كنت جادة ، فسوف أخلى سبيلك ، وأبقى زميلك والعالم المصرى رهينة لدى ، حتى تعودى بالأيقونة .

وكما ظهر فجأة اختفى فجأة ، بعد أن خلف وراءه تلك السحابة الدخانية ، التى غشيت المكان ، فالتفت إليها (ممدوح) قائلًا :

ـ ما هذا الذى قلته ؟

قالت بصلابة :

ـ كما سمعت .

(ممدوح) :

ـ أنت تعرفين جيدًا أن كلينا لا يعرف مكان الأيقونة .

صاحت فيه قائلة :

ـ اصمت .. من الممكن أن يكون منصتًا لنا الآن .

(ممدوح) :

- ولكن ...
قاطعته قائلة :

- إننا أسرى لذلك الشيطان ، وقوته تفوق قوتنا بمراحل .. إنه يستطيع أن يقضى علينا لو أراد كما قال ، بإشارة واحدة من يده ، إن لم يكن بوساطة زبانيته ووسائل التعذيب التى يجيدونها ، فعن طريق سحره ، الذى يمكنه أن يسلطه على عقولنا فيدمرها ، لذا فعلينا أن نبحث عن مخرج من هذا المصير بأية وسيلة .

قال لها ، وفى عينيه نظرة عتاب :

- تقصدين البحث عن مخرج لك .. فأنت تريدين أن تستخدمى هذه الخدعة لمغادرة المعبد مضحية بى ، وبالرجل الذى جئنا للبحث عنه .

(ماريا) :

- لا تنس أننى أنا التى أصررت على الحضور معك إلى المعبد ، وعندما رفضت .. جئت إلى هنا بنفسى ، وأنا أعرف جيدًا المخاطر المترتبة على ذلك .

(ممدوح) :

- وهذا ما يحيرنى .

(ماريا) :

- اطمئن .. سأعود مرة أخرى .

(ممدوح) :

- إننى لست خائفًا على نفسى ، ولكنى واثق أن ذلك الكاهن الشرير لو أدرك أنك تخدعينه ، فإنه لن يتورع عن القضاء على الدكتور (فؤاد) ، وعن القضاء عليك أيضًا ، فلو كنت تفكرين فى الاستعانة بأولئك الأشخاص ، من رجال القوات الخاصة ..

أغمضت عينيها وفتحتهما فى حركة سريعة ، لتشير له بالتوقف عن الخوض فى ذلك الحديث ، قائلة :

- سأعود ومعى الأيقونة ، لأنقذ بها حياتك وحياة الدكتور (فؤاد) .

صمت (ممدوح) ، وهو ينظر إليها بارتياب ، وعلامات استفهام كثيرة تدور فى رأسه ..

ومن وراء حاجز زجاجى ، يختفى داخل جدران المعبد ، كان الكاهن (جوس) يراقبهما ، ويستمع إلى حديثهما ، وعيناه تلمعان فى الظلام .

وبعد عدة ساعات حضر اثنان من أتباع الكاهن ، ليحلّا وثاق الفتاة ، ويصحباها بعيدًا عن المذبح ، الذى يرقد عليه (ممدوح) ، واستقبلها الكاهن (جوس) فى حجرته الخاصة ، قائلًا :

- والآن أما زلت واثقة من أنك ستأتين بالأيقونة ؟

أجابته بثبات :

- نعم .

عاد الكاهن يسألها :
ـ وهل مازلت تتذكرين تحذيرى لك جيدًا ؟
وأجابته مرة أخرى :
ـ نعم .. ومازلت أصر على أننى سأحضر لك الأيقونة السحرية ..
الكاهن :
ـ حسنًا .. فى مقابل ذلك سأطلق سراحك ، وأنتظرك فى الموعد المحدود .
وقالت (ماريا) :
ـ لى شرط واحد ، قبل أن أغادر هذا المكان .
الكاهن :
ـ وما هو ؟
(ماريا) :
ـ أريد أن أرى العالم المصرى ، وأتأكد من وجوده على قيد الحياة بنفسى .
صمت الكاهن قليلًا ، قبل أن يقول :
ـ حسنًا .. لك ما تريدين .
وصفق بيديه مرتين ، فحضر إليه أحد أتباعه ، فقال له بصوت آمر :
ـ أحضر السجين .
وغاب الرجل برهة من الوقت ، ثم عاد مصطحبًا الدكتور

(فؤاد) ، وقد قيدت يداه من الخلف ، ومدت (ماريا) يدها نحوه ، فهتف فيها الكاهن قائلًا :
ـ ماذا تفعلين ؟
تحولت إليه الفتاة ، وعلى وجهها نفس ملامح الصلابة ، قائلة :
ـ أريد أن أتأكد من أنه الدكتور (فؤاد) حقيقة ، وأنك لا تستخدم سحرك معى ، لتصوّر لى شخصًا آخر ، على أنه العالم المصرى ، وعلى غير الحقيقة .
وضحك الكاهن بصوت عال ، قائلًا :
ـ هذا ما قلته من قبل : إنك فتاة ذكية ، وهذا ما يجعلنى واثقًا من أنك ستلتزمين باتفاقك معى ؛ لأنك تعلمين جيدًا عاقبة نقض هذا الاتفاق ..
حسنًا يمكنك أن تتأكدى من أنه هو نفسه العالم المصرى ، وأننى لم أستخدم سحرى معك .
ومدت الفتاة يدها نحو الدكتور (فؤاد) لتتحسَّس ملامح وجهه ، قائلة له :
ـ أنت الدكتور (فؤاد) ، أستاذ العلوم النووية بجامعة (القاهرة) أليس كذلك .
أجابها قائلًا :
بلى .
سألته قائلة :

- ما اسمك كاملًا ؟

أجابها :

- (فؤاد عبد السلام) .

التفتت (ماريا) نحو الكاهن ، قائلة :

- حسنًا .. هذا يكفى .. والآن هل تسمح لى بمغادرة ذلك الوكر ؟

أشار الكاهن إلى تابعه ، ليعود بالدكتور فؤاد مرة أخرى من حيث جاء به ، ثم صفق بيديه من جديد ، ليحضر شخص آخر من أعوانه قال له :

- ستصحب الفتاة إلى أطراف الغابة ، وحذار أن يصيبها أى أذى خلال الطريق .

انحنى الرجل أمام الكاهن ، قائلًا :

- أمرك أيها الكاهن العظيم .

وغادرت (ماريا) المعبد فى صحبة الرجل ، فى حين كان أحد أتباع الكاهن يدخل إلى القاعة ، التى كان (ممدوح) مقيدًا فيها فوق المذبح الرخامى ، واقترب الرجل من (ممدوح) ، حاملًا فى إحدى يديه مشعلًا ، وفى اليد الأخرى صينية صغيرة فوقها زجاجتان ، وقال الرجل وهو يُقرِّب المشعل من وجه (ممدوح) ، بعد أن وضع الصينية إلى جواره ، على القاعدة الرخامية ، بلهجة تهكمية .

- إنك جائع .. أليس كذلك ؟ ؟ مع الأسف ليس لدينا طعام نقدمه لك ، سوى عصير البرتقال هذا ، فالكاهن أمر بألا تحل قيودك لأى سبب من الأسباب ، وما دام الأمر كذلك .. فليس لدينا ما نقدمه لك ، لكى تساعدك على البقاء حيًا ، وأنت على هذا الوضع ، سوى عصير البرتقال ، نسكبه فى فمك قطرات .. قطرات ، من هذه الزجاجة .

ورفع الزجاجة فى يده ، ليقرِّبها من فم (ممدوح) ، ثم عاد فوضعها فى الصينية مرة أخرى ، قائلًا وهو يتناول الزجاجة الثانية ، وعلى وجهه ابتسامة ساخرة :

- أم أنك تريد بضعة رشفات من مشروبى هذا ؟ إنه مشروب كحولى قوى ، ولا يستطيع أحد غير أتباع الكاهن تناوله ، وهزَّ (ممدوح) رأسه قائلًا :

- أنا أستطيع .

ضحك الرجل ضحكة قصيرة ، ثم قال :

- حسنًا .. سأجعلك تجرِّب ، ولكن إذا شعرت بالتهاب فى حلقك ، ولم تقو على ابتلاعه ، فسوف تحرم أيضًا من عصير البرتقال ، بل سأجبرك على ابتلاع زجاجة الشراب كاملة ، جزاء غرورك ، فهل مازلت مصرًا على تجربته ؟

قال (ممدوح) :

- كل الإصرار .

نزع الرجل سدادة الزجاجة ، قائلًا :

ـ حسنًا .. لا تقل إننى لم أحذّرك .

وسكب كمية من الشراب فى فم (ممدوح) ، وهو يأمل فى أن يسخر من تأثير الشراب عليه ، ولكن (ممدوح) لم يبتلع الشراب ، بل احتجزه فى فمه ، وأخذ يمضمضه قليلًا ، ثم بصقه بقوة على النيران المتصاعدة من المشعل الذى يحمله الرجل فى يده ..

وأحدثت كمية الكحول القوية فى الشراب أثرها على نيران المشعل ، التى تأجَجت بقوة ، وارتفعت ألسنتها عاليًا ، لتصيب أجزاء متفرقة من جسد الرجل ، الذى صرخ وهو ينظر إلى النيران ، التى أمسكت بجسده ، وقد سقط المشعل منه إلى جوار (ممدوح) ، على المذبح الرخامى ، ووجدها (ممدوح) فرصة سانحة ، فالرجل مشغول بالحروق التى أصابت جسده ، والمشعل على بعد سنتيمترات من الحبال التى تقيد يديه ، ولا ينقصه سوى أن يعمل على تقريب نيران المشعل من تلك الأربطة ، حتى لو تسبَب ذلك فى إصابة جزء من معصمه بالحروق ، فهذا هو السبيل الوحيد أمامه ، للهرب من ذلك الجحيم الأكبر الذى ينتظره ، ولكن كيف يتسنى له أن يفعل ذلك ؟

وأخذ (ممدوح) يحرك مرفقه ، بالقدر الذى تسمح له به حرية الحركة المتاحة أمامه ، لكى يدفع به المشعل الملقى بجواره ، نحو يده المقيَدة بالحبال ، مخاطرًا فى ذلك بأحد

احتمالين ، إما أن ينجح فى تقريب النيران من قيده ، فيحرق هذه الأربطة ويُحرِّر يده . ليستخدمها فى تحرير يده الأخرى وقدميه من القيود التى تكبّلها ، وإما أن يهوى المشعل من فوق حافة القاعدة الرخامية إلى الأرض بتأثير ، دفع (ممدوح) له بمرفقه ، قبل أن يصل إلى القيد الذى يكبل يده ، وبذلك تكون قد أفلتت منه فرصته الأخيرة للنجاة ، خاصة وأنه قد يتعرض لانتقام الرجل المتألم لحروق جسده ، بعد أن ينتبه لما يحاول أن يفعله ..

وأخذ (ممدوح) يدفع المشَعل بكوعه فى رفق وحذر ، حتى أصبح جزء كبير منه على حافة القاعدة الرخامية .

وأصبحت دفعته الأخيرة لهذا المشعل هى وحدها الفاصلة بين حريته .. وبين موته .

* * *



١٠ ـ الساحر الشرير ..

أخيرًا أصبحت النيران على مقربة مليمترات قليلة من القيود ، التى تكبل يد (ممدوح) ، وأصبحت أية دفعة أخرى من مرفقه كفيلة بالإطاحة بالمشعل ، من فوق حافة المذبح ، ليهوى على الأرض ، ولم يجد (ممدوح) بدًا من أن يرفع رأسه قليلًا ، عن القاعدة الرخامية ، وينفخ بقوة فى نيران المشعل ، لتلامس ألسنة النيران الحبل الذى يقيد يده ، وأحسّ بلسعات خفيفة فى معصمه ، ولكنها لم تكن تساوى شيئًا أمام ارتياحه لاحتراق الحبل ، الذى يقيد رسغه ، ثم لم يلبث أن حرَّر يده من قيدها ، وأسرع بتحرير يده الأخرى ، ولكن الرجل كان قد انتبه لما يفعله (ممدوح) ، قبل أن يقوم بتحرير قدميه من قيودها ، فاستل خنجرًا من جرابه ، وتقدم نحوه ، وكل ملامح الغضب والقسوة تطل من عينيه محاولًا طعنه ، بعد أن أطفأ النيران من جسده ، ولكن (ممدوح) تناول المشعل ، الذى كان ما يزال فى مكانه على حافة المذبح ، ليدفعه فى وجه الرجل ، فى اللحظة التى هم فيها بطعنه ، وسقط الخنجر من يده ، وقد ازداد صراخه ، وهو

يضع يديه على وجهه ، من شدة الألم ، بعد الحروق التى أصابت وجهه ، فى حين قبض عليه (ممدوح) بكلتا يديه ، من خصره ومن ساعده ، ليطيح به من فوق المذبح إلى الأرض ، دافعًا رأسه إلى الأرض الصلبة ، واستغل الإغماءة التى أصابت الرجل ، من جراء اصطدامه بالأرض ، ليحل بقية قيوده ، ثم أسرع يغادر المكان ، بعد أن وضع على وجهه أحد الأقنعة ، التى خلفها بعض أعوان الكاهن ، قبل انصرافهم من الحفل الصاخب ، الذى أقاموه حول هذا المذبح ، حتى لا يتيح لأحد فرصة الكشف عن شخصيته ..

وفى أثناء ذلك ، كان الكاهن (جوس) جالسًا أمام مبخرة ، وضعت عليها بعض الجماجم والعظام البشرية ، وتتصاعد منها الأبخرة ، وهو يراقبها بعينين براقتين ، ويتمتم ببعض الكلمات المبهمة ، واقترب منه أحد أتباعه ، وهو على هذه الحالة ، قائلًا :

ـ هل تنوى حقًا ، أيها الكاهن العظيم ، أن تسلم العالم المصرى وذلك الشرطى للفتاة ، إذا ما أحضرت لك الأيقونة السحرية ؟

وبدا كأن الكاهن لم يستمع لكلمات تابعة ؛ إذ ظل برهة من الوقت مستغرقًا فى ترديد عباراته المبهمة ، وهو يحدِّق

فى الأبخرة المتصاعدة أمامه ، ثم لم يلبث أن توقف عن ترديد عباراته ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة شيطانية خبيثة ، قائلًا :

- أستطيع أن أعدك وعدًا صادقًا ، يا خادمى المخلص (مارجون) ، أن أيًا من هؤلاء الثلاثة لن يبقى على قيد الحياة ، حتى بعد إحضار الأيقونة ، فقد تحدانى ذلك الشرطى وزميلته ، وأنت تعرف جزاء من يتحدى الكاهن (جوس) ..

كان يمكننى أن أعيد ذلك العالم المصرى سليمًا إلى حكومته ، لو كانوا قد التزموا باتفاقهم معى منذ البداية ، وأعادوا الأيقونة ، دون إرسال ذلك الرجل إلى (ريجونا) ، للقيام ببعض البطولات غير المجدية ، أما وقد خالفوا شروطى ، وحاولوا خداعى ، فإن عالمهم المصرى ، والرجل الذى أرسلوه لإنقاذه ، سيتحولان إلى جثتين هامدتين على يدىَ ، ولكن بعد أن أسترد الأيقونة أولًا ..

وسأله تابعه قائلًا :

- وماذا ستفعل بشأنهم ؟

عاد الكاهن يحدّق فى البخور ، قائلًا :

- سأقدمهما ومعهما الفتاة قربانًا للشيطان ، وستنال أنت ورفاقك نصيبك من دمائهم .

ومن وراء ستار مخملى ، يغطى أحد جدران الحجرة ، كان (ممدوح) واقفًا ينصت إلى هذا الحديث ، وفجأة نظر الكاهن فى الأبخرة المتصاعدة أمامه ، وقد انقلبت سحنته ، وأصبحت ملامح وجهه مخيفة ، وهو يقول :

- يوجد شخص غريب معنا هنا .

والتفت نحو الستار ، مشيرًا إليه بإصبعه ، وهو يقول :

- إنه يتجسّس علينا ، من وراء هذا الستار .

وامتدت يد خادم الكاهن سريعًا إلى البندقية الآلية ، الموجودة فى أحد أركان الغرفة ، مصوبًا فوهتها فى اتجاه الستار الذى يقف خلفه (ممدوح) ، ولكن (ممدوح) تحرّك سريعًا ، من الجهة التى يقف فيها ليثب نحو الرجل فى خفة وسرعة الفهد ، موجهًا ركلة قوية بمقدمة حذائه فى وجهه ، أطاحت به ، ليصطدم بأحد الجدران ، وقد أفلتت البندقية منه ، وحاول الرجل أن يستعيد توازنه ، ولكن (ممدوح) ألقى فى وجهه بالمبخرة الساخنة ، لتغطى أبخرتها جسده ، ثم أسرع بتناول البندقية الآلية من الأرض ، ليسدّد فوهتها نحو الكاهن ، الذى بدا متماسكًا ، وعلى وجهه تلك الابتسامة الشيطانية ، وهو يقول بصوت كفحيح الأفعى :

- أنت تعرف أن الأسلحة لا تجدى معى ، إنك تتمادى فى

حماقاتك ، وتزيد من حنقى عليك ، وهذا يعرضك لأذى بالغ أيها المصرى .. أبعد هذا السلاح ، فلن يفيدك بشىء .

(ممدوح) :

ـ أعتقد أنه سيكون مفيدًا للغاية ، لو أطلقت رصاصاته على رأسك ، فأنا أعرف جيدًا أنها نقطة ضعفك الوحيدة ، والوسيلة المثلى للقضاء على شيطان مثلك .

نظر إليه الكاهن فى دهشة لمعرفته بهذه الحقيقة ، وقال له (ممدوح) بصوت صارم :

ـ ضع يديك فوق رأسك ، وحذار أن تستخدمها فى تقديم بعض ألاعيبك السحرية ، وإلا فلن أتردّد فى إطلاق الرصاص نحو رأسك الشيطانى .

وفى تلك اللحظة كان هناك عدد من أتباع الكاهن قد اندفعوا إلى الغرفة ، إثر سمعاعهم لإطلاق الرصاص ، وما أن رآهم (ممدوح) ، حتى اندفع فى اتجاه الكاهن ، ليلصق فوهة بندقيته برأسه قائلًا :

ـ مرهم بالابتعاد ، وقل لهم : أن يخلو الطريق أمامى .

قال الكاهن بحنق :

ـ ستندم على فعلتك هذه .

قال (ممدوح) بصوت آمر :

ـ نفذ ما أقوله لك .

انصاع الكاهن لما طلبه (ممدوح) ، فأمر رجاله بالانصراف وإفساح الطريق أمام (ممدوح) ، الذى قال :

ـ والآن ستقودنى إلى المكان ، الذى احتجزت فيه الدكتور (فؤاد) .

قال له الكاهن محذرًا :

ـ صدقنى .. لن تفلح فى الخروج من هنا حيًا بهذه الوسيلة .. من الأفضل أن تنتظر حتى تحضر زميلتك الأيقونة ، لتعودوا جميعًا سالمين إلى بلادكم .

قال (ممدوح) ساخرًا :

ـ نعود سالمين ، أم تقدمنا قرابين لشيطانك ؟.. إننى لا أثق بك ، كما أننى لا أطيق الانتظار .. هيا تحرك أمامى ، وتذكَّر أن فوهة بندقيتى مصوَّبة إلى رأسك ، ومستعدة للانطلاق فى أية لحظة .

وتقدَّم الكاهن أمام (ممدوح) ، يقوده عبر ممرات طويلة داخل معبده ، إلى أن وصلا إلى أحد الأبواب المغلقة ، حيث كان يقف أحد أتباع الكاهن ، فأشار له بفتح الباب ، ووجد (ممدوح) الدكتور (فؤاد) قابعًا فى أحد أركان الغرفة الحجرية المغلقة ، وقد جلس القرفصاء ، فهتف به :

ـ دكتور (فؤاد) .. أأنت بخير ؟

تطلع إليه الدكتور (فؤاد) قائلًا :
ـ من أنت ؟
(ممدوح) :
ـ أنا المقدَّم (ممدوح عبد الوهاب) ، من إدارة العمليات الخاصة ، وقد جئت خصيصًا لإنقاذك ، والعودة بك إلى (القاهرة) .
ونظر الدكتور (فؤاد) إلى الكاهن وتابعه ، ثم إلى (ممدوح) ، وأغمض عينيه قائلًا بيأس :
ـ لن تنجح فى ذلك .. لن تنجح فى الخروج من هذا المكان أبدًا .
ابتسم الكاهن قائلًا لـ (ممدوح) :
ـ أرأيت .. ذلك الرجل أكثر واقعية منك .. لن تخرج أبدًا من معبد الشيطان بهذه الوسيلة .
عاد (ممدوح) ليهتف به فى صرامة :
ـ اصمت .
ثم نظر إلى الدكتور (فؤاد) ، قائلًا :
ـ لا تخف يا دكتور (فؤاد) .. سأساعدك على الخروج من هنا .. اقترب .
ولكن نظرة من عينى الكاهن الماسية جعلت (فؤاد)

يتجمَّد فى مكانه ، وقد ارتسمت على وجهه آيات الرعب ، وهو يردِّد قائلًا :
ـ لا .. لن أستطيع الهرب معك .
وعاد (ممدوح) يلحّ عليه ... قائلًا :
ـ قلت لا تخف ، ولا تضيع الفرصة .
وفجأة تفجَّرت أمام (ممدوح) فجوة صغيرة ، انبعثت فيها نافورة من سائل أحمر يشبه الدماء ، وشتت هذا انتباهه لحظة كانت كافية لابتعاد الكاهن عن فوهة البندقية المصوَّبة إلى رأسه ، متيحًا الفرصة لتابعه لمهاجمة (ممدوح) ، وضرب الرجل بسلسلة حديدية يد (ممدوح) ، القابضة على البندقية ، فأطاح بها من يده ، ثم هم بتسديد ضربة أخرى من سلسلته الحديدية إلى وجهه ، ولكن (ممدوح) قبض على الطرف الآخر من السلسلة بكلتا يديه ، محاولًا جذب الرجل فى اتجاهه ، وقام الكاهن برسم بعض العلامات فى الهواء بأصابعه ، فظهر سائل لزج أشبه بالمازوت ، على طرف السلسلة التى يمسك بها (ممدوح) ، مما جعلها تنزلق من يده ، والتمع وميض النصر فى عينى غريمه ، الذى رفع السلسة عاليًا ، ليضرب بها وجه (ممدوح) ، لكن الأخير تفادى الضربة الموجَّهة إليه ، وهو ينتحى جانبًا ، ومد يده

يلتقط البندقية من الأرض ، ولكن الكاهن قام برسم تلك العلامات فى الهواء ، فأخذت البندقية تتحرك على الأرض ، مبتعدة عن متناول أصابعه ..

كان (ممدوح) - فى الواقع - يواجه غريمين قويين .. أحدهما تبدو عليه ملامح الشر والقسوة ، وبيديه سلسلة حديدية ، والآخر يمتلك قوة سحرية غامضة ، يصعب التصدى لها ومواجهتها ، ولكن (ممدوح) نظر فى اتجاه الكاهن ، فوجده يجثو على ركبتيه ، وهو يضع يديه على أمعائه ، وقد أغمض عينيه ، وظهرت على وجهه ملامح ألم شديد ، بدا كأنه يعتصره اعتصارًا ، وتمنّى أن تكون مظاهر الألم ، التى تبدو على الكاهن حقيقية ، وأنه يعانى شيئًا ما ، فإن هذا يتيح له القدرة على مواجهة غريم واحد ، ويبعده عن أكثر غريميه خطورة ..

وفى اللحظة التى هم فيها التابع بتسديد ضربة أخرى من سلسلته الحديدية إلى وجه (ممدوح) ، قفز الأخير فى الهواء قفزة بهلوانية ، محيطًا عنق خصمه بكلتا ساقيه ، ثم وثب بطريقة اكروباتية مرة أخرى على الأرض ، مرتكزًا على يديه ، وجاذبًا رأس الرجل معه إلى أسفل ، وقبل أن يتبين الرجل حقيقة ما حدث له ، كان (ممدوح) قد لف السلسلة الحديدية حول رقبته ، ليخنقه بها بشدة ..

ومن الغريب أن الكاهن كان ما يزال جاثيًا فى مكانه ، وهو يعانى مظاهر التعب ، التى رآها عليه (ممدوح) ، من قبل دون أن تكون لديه القدرة على التصرف ..

وسرعان ما تناول (ممدوح) البندقية الآلية جاذبًا الدكتور (فؤاد) من يده ، وهو يستحثه على الهرب معه ، من ذلك السجن الحجرى ..

واعترضهما بعض أعوان الكاهن ، فأطلق (ممدوح) عليهم الرصاص ، وأخذ يواصل طريقه عبر ممرات مختلفة تشبه التيه داخل المعبد ، ووجد أمامه بابًا حديديًا ضخمًا ، فسارع بفتح مزلاجه ، وبلف إلى ردهة كبيرة متسعة ، وهو يجر الدكتور (فؤاد) معه جرًا ، وحاول عبورها ، لكن بابًا معدنيًا ضخمًا أغلق فى وجهه ، فاستدار محاولاً البحث عن منفذ آخر ، ولكن بابًا آخر أغلق خلفه ..

ووجد (ممدوح) أمامه فجوة صغيرة فى أحد الجدران ، فحاول النفاذ منها ، ولكنه وجد فى مواجهته ذلك العملاق ، ذا الشارب المتدلى حول شفتيه ، والذى يناهز طوله المترين يعترض طريقه ، وعلى وجهه ابتسامة صفراء ، وقد أمسك فى يده بخنجر مقوَّس ، ذى نصل حاد ، وأطلق الدكتور (فؤاد) صرخة فزع ، قائلاً :

- قلت لك إننا لن ننجح فى الهرب من ذلك المكان الملعون .

بقى (ممدوح) متشبثًا برسغ الدكتور (فؤاد) ، وهو يتقهقر معه إلى الخلف ، وعيناه تراقبان العملاق ، الذى أخذ يتقدم أمامه بخطوات متئدة وواثقة ..

وتخلَّى (ممدوح) عن رسغ الدكتور (فؤاد) لحظة ، وهو يهمّ بتصويب بندقيته إلى العملاق ، قائلا :

- لا تتحرك من مكانك خطوة أخرى ، وإلا صرعتك برصاص بندقيتى على الفور .

لكن ذراعين قويتين أمسكتا به من الخلف ، لتشلا حركته ، فى حين انطلقت ضحكة العملاق فى وحشية ، وهوى بحديدة على مؤخرة البندقية الخشبية فحطمها ، ثم أمسك ماسورتها المعدنية ليلويها إلى أسفل و (ممدوح) ينظر إليه فى ذهول ..

كان يواجه عملاقًا أسطوريًا ..

ووحشًا قاتلًا .

★ ★ ★

١١ - طريق الحرية ..

كان لابد أن يدافع (ممدوح) عن نفسه ، مهما كانت القوة التى يواجهها ، فسدَّد ركلة قوية من مقدمة حذائه إلى بطن العملاق ، ولكنها لم تحدث به أثرًا ملموسًا ، بل أثارت حنقه عليه ، فرفع خنجره عاليا ، ليحدث به جرحًا سطحيًا فى صدغ (ممدوح) .

وعاد ليضع مقدمة الخنجر المدبَّبة أسفل فكه ، قائلًا :

- بإمكانى أن أمزقك الآن أجزاء متفرقة بهذا الخنجر ، ولكن على أن أنتظر أوامر الكاهن بشأنك أيها الوغد الحقير .

نظر (ممدوح) خلف العملاق ، قائلًا :

- حسنًا .. ها هو ذا سيدك قد جاء .. يمكنك أن تسأله :

انطلت هذه الحيلة على العملاق ، فنظر بحثًا عن الكاهن ، وقد أبعد حد الخنجر عن فك (ممدوح) ، فما كان من الأخير إلا أن دفع جسده بقوة ، تحرِّكها غريزة البقاء إلى الخلف ، دافعًا معه الشخص الذى يقيد حركة يديه من الخلف ، وسمع رأسه ترتطم بالجدار خلفه ، كما أحس بيديه تتراخيان عن ساعديه ، اللذين يشلهما عن الحركة ، فجذب ساعديه بقوة إلى الأمام ، ليحرِّرها من قبضتى خصمه ، ونجح فى ذلك ..

ثم استدار إليه ، ليقبض على عنقه من الخلف ، وعلى خصره بكل ما أوتى من قوة ، ليجبره على أن ينحنى برأسه إلى الأمام ، فى اللحظة التى تحرك فيها العملاق فى اتجاه (ممدوح) ، بعد أن تبينت له حقيقة خدعته ، ودفع (ممدوح) رأس الرجل فى قوة ، إلى أمعاء العملاق ، لتصطدم به فى اللحظة التى هم فيها بمهاجمته بخنجره ، وعلى الرغم من أن هذه الضربة لم تحدث أثرها الملموس أيضًا ، بالنسبة للعملاق ، إلا أنها أربكته ، وأعاقته قليلًا عن الحركة ، فى حين ترنح الرجل الآخر من أثر الضربة القوية ، التى تلقاها على مؤخرة رأسه ، إثر اصطدامها بالجدار الحجرى ، وهوى على الأرض مغشيًا عليه ، بعد اصطدامه ببطن العملاق ، وأتاح هذا لـ (ممدوح) أن يلتقط ما تبقى من البندقية المحطمة ، ليهوى بها على رأس العملاق ، الذى هز رأسه ، وكأنه يحاول أن يزيح عنها أى أثر للضربة التى تلقاها ، وعاد (ممدوح) يهوى بها على رأسه مرة أخرى ، فترنح قليلًا ، ولكنه بدا متماسكًا ، فاستدار (ممدوح) خلفه ، ثم قفز فى الهواء ، مسددًا ركلة قوية إلى ظهره ، من ضربات الكاراتيه ، التى تدرَّب عليها مستغلًا حالة الترنح التى كان عليها ، ليصدم مقدمة رأسه بالجدار الحجرى ، وجعل



فسدَّد ركلة قوية من مقدمة حذائه إلى بطن العملاق ، ولكنها لم تحدث به أثرًا ملموسًا ..

اصطدام رأس العملاق بالجدار الحجرى جسده الضخم يزداد ترنحًا ، فوثب (ممدوح) فى الهواء ، مسددًا ضربة أشد قوة بحديدة إلى رأس العملاق من الخلف ، وجاءت هذه الضربة لتكمل الأثر الذى أحدثته الضربات السابقة ، التى تلقاها ذلك العملاق على رأسه ، فهوى على الأرض ، وقد انثنى ذراعه أمام صدره مطلقًا شهقة قصيرة ، وعندما أداره (ممدوح) على ظهره وجده ما زال قابضًا على خنجره ، ولكنه كان قد استقر فى صدره ..

ونظر (ممدوح) حوله فرأى الرجل الآخر وهو يتلوى على الأرض ، وقد بدأ يفيق من غيبوبته ، فى حين كان الدكتور (فؤاد) قد اختفى من المكان ، ولم يكن أمامه سوى أن يحاول الفرار من هذا المكان الآن ، وبأية وسيلة ، ثم يبحث بعد ذلك عن مخرج لأنقاذ الدكتور (فؤاد) ، فاندفع عبر الفجوة الموجودة فى الجدار أمامه ، وهو يزحف على قدميه ويديه ، بأسرع ما يمكنه ، حتى انتهى به الحال إلى ممر أكثر اتساعًا ، فاعتدل واقفًا ، وانطلق يركض فيه ..

كان الممر مظلمًا ومقفرًا ، ولم يلبث أن سمع وقع أقدام تجرى خلفه ، فانطلق يركض بأقصى ما لديه من قوة وسرعة ، حتى أحس بأن رئتيه توشكان على الانفجار ، وكان

عليه أن يستمر فى الركض ، أو يقع على الأرض ، فتوقف قليلًا ، وهو يلتقط أنفاسه ، وأرهف السمع فوجد وقع الأقدام يقترب ، مما دفعه إلى مواصلة طريقه سيرًا على الأقدام ، وهو يتحسس الجدران الحجرية فى هذا التيه المظلم ، الذى بدا بلا نهاية ، حتى تحرَّك الجدار تحت يديه ، ليجد أمامه بصيصًا من الضوء ، فى نهاية الفراغ الذى تخلف عن هذا الجدار المنهار ، ولكنه خشى أن يتقدم عبر هذا الفراغ ، فيقع فى شرك آخر من شراك الكاهن ، كذلك المستنقع الطينى ، الذى وجد نفسه فجأة يغوص فيه ، فوقف متردِّدًا لحظة ، ولكن وقع الأقدام كان يزداد اقترابًا .

إنهم يحاولون اللحاق به ، ولو لحقوا به فإن إفلاته مرة أخرى ، من الشر الذى ينتظره ، سيكون مستحيلًا ، فحتى لو أحضرت (ماريا) الأيقونة السحرية لذلك الكاهن الشرير ، فإنه قد أصبح واثقًا الآن أنه لن يرحمه ، بعد كل ما سببه له من متاعب ، وكان عليه أن يخاطر ، ولكن مخاطرة محسوبة ، فجثا على يديه أمام هذا الفراغ ، الذى لا يبدِّد ظلمته سوى بصيص من النور ، ومدّ يده أمامه يتحسس الأرض ، التى ينوى أن يخطو عليها ، فوجدها حجرية

صلبة ، مثلها مثل الجدران التى تتكون منها حجرات هذا المعبد ..

وفجأة وجد يدًا لشبح تبرز فجأة من الظلام ، وتقبض على ساعده ، وتجذبه بقوة إلى داخل الفراغ ..

وشلّت المفاجأة تفكير (ممدوح) ، فلم يحاول إبداء أية مقاومة ، بل بقى ينظر فى ذهول من خلال بصيص الضوء الضعيف ، النافذ إلى المكان ، لذلك الشبح ، وهو يعيد الجدار الذى كشف عن هذه الفجوة إلى مكانه ، بعد أن جذبه إلى الداخل ..

وهنا تنبّهت حواس (ممدوح) مرة أخرى ، وهم بمهاجمة ذلك الشبح ، مسددًا لكمة قوية إلى الجزء الذى رآه يتحرك منه ، لكن الشبح صد ضربته قابضًا على رسغه ، وهو يهمس قائلًا :

ـ لا داعى لهذا .. إننى صديق .

سأله (ممدوح): قائلًا :

ـ وما الذى يدعونى إلى تصديق ذلك ؟

أجابه الرجل قائلًا :

ـ لقد ساعدتك فى التسلل إلى هنا ، والهروب من أعوان

الكاهن ، وسوف أقودك خارج المعبد لتنجو من مطاردتهم لك .

(ممدوح) :

ـ وما الذى يدعوك إلى هذا ؟

أجابه الرجل قائلًا :

ـ إننى من أهالى إحدى القرى المحيطة بالأدغال .. لقد أسلمت على يد الشيخ (عبد الله) ، عندما كان يعيش بيننا فى القرية ، ولكن الكاهن وأعوانه يجهلون ذلك ، بل إننى أحوز ثقتهم ، إلى الحد الذى يسمحون لى معه بأن أحضر بنفسى ، عبر أحد الممرات السرية ، إلى هذا المعبد ، لتقديم القرابين ، والجباية التى يفرضونها على الأهالى ، وأنا ألعب هذا الدور بأمر زعيم القرية ، لمساعدة الأسرى من الأهالى ورجال القبائل ، الذين يسقطون فى أسر الكاهن وأعوانه ، ويعمل على إحضارهم إلى هنا ، لتعذيبهم وإجراء طقوسه السحرية عليهم ، جزاء تمردهم عليه ، أو عدم تقديم القرابين المطلوبة ، فأسهّل لهم طريق الهرب عبر هذا الممر خلسة ، وقد استطعت حتى الآن إنقاذ اثنى عشر رجلًا وامرأة ، بهذه الوسيلة .

(ممدوح) :

ـ ألم تخش أن يُكشف أمرك ، وتتعرض لأذى الكاهن وأعوانه ؟

أجابه الرجل :

ـ لقد نذرت نفسى لهذا العمل ، دون أن أعبأ بالمخاطر ، فمساعدة الضعيف هى إحدى تعاليم الشيخ (عبد الله) ، التى رسخت فى نفسى ..

والآن دعنا لا نضيع الوقت ، وهيا بنا لنهرب من هنا .

تقدم الرجل ، و (ممدوح) فى أثره ، نحو بصيص الضوء المنبعث من نهاية الممر ، وعندما اقتربا من نهايته انطفأ الضوء فجأة ، وسمعا صوت أقدام تتقدم نحوهما فى بطء ، وصوت باب معدنى يُغلق ، تتبعه ثلاث مزاليج معدنية ، تتحرك لتُغلق فى أثره ، وهمس (ممدوح) قائلًا :

ـ ما هذا ؟

ورد عليه الرجل قائلًا فى قلق :

ـ إنهم يغلقون الباب المؤدى إلى الخارج ، وهذا تصرف غريب من جانبهم ، لم يحدث من قبل .

سأله (ممدوح) قائلًا :

ـ تُرى .. هل يعرفون بوجودى معك ؟

أجابه الرجل :

ـ هذا ليس مستبعدًا ، فلا معنى لتصرفهم هذا ، إلا أنهم لا يريدون السماح لى بالخروج عبر هذا الباب المعدنى ، إلا بعد التأكد مما إذا كنت اصطحب شخصًا آخر معى أم لا ..

على كل حال اطمئن ، فأنا أعرف منفذًا آخر للخروج ، وإن كنت أرجو ألا يكونوا قد انتبهوا إليه أيضًا .

ثم استدار قائلًا :

ـ اتبعنى وحاول ألا تصدر أى صوت ينبئ عن وجودنا .. سيكون من الأفضل أن تخلع حذاءك .

نفَّذ (ممدوح) ما طلبه منه الرجل ، فخلع حذاءه وسار خلف الرجل خطوة بخطوة ، وكلاهما يمسك يد الآخر ، ويتحسَّس طريقه فى الظلام ملامسًا الجدار ، ومن خلفهما يزداد وقع الأقدام قربًا ، وفجأة أحس (ممدوح) بهم على مقربة منه ، فتوقَّف عن الحركة ، إلى أن مروا بجانبه ، واستطاع أن يميز هيئة اثنين منهم على الرغم من الظلام الدامس ، فقد وقفا دون حراك ، على بعد ثلاث خطوات منهما ، وكان من الواضح أنهما قد كشفا وجودهما ، خاصة عندما لمح نصال السيوف اللامعة وهى تبرق فى الظلام :

كانا فى انتظار أن يتحركا خطوة واحدة ، ليطيحا برأسيهما دون تردّد ...

وشعر (ممدوح) بيد رفيقه تتحسس راحته ، ليدفع فى يده بخنجر صغير ، وأدرك الهدف من إعطائه إياه ..

لقد أصبح عليهما مواجهة هذين الشخصين بأية وسيلة ، إذا كانا يريدان أن تكتب لهما النجاة ..

ولم يجد (ممدوح) فى يديه سوى هذا الخنجر ، والحذاء الذى يحمله تحت إبطه ، وأصبح عليه استخدامهما للنجاة من هذا المأزق ..

وأطاح (ممدوح) بالحذاء أمامه ، لجذب انتباه غريميه ، حيث سقط على الأرض ، على بعد عدة خطوات منهما ، واستجمع قواه للتأهب للعمل ، وعلى الفور تحرك الهيكلان المختفيان فى الظلام ، نحو الموقع الذى سقط فيه الحذاء ، فكشفت حركتهما عنهما ، وهنا وثب (ممدوح) تجاه أحد الشبحين ، محيطًا عنقه بساعده ، وهو يسدِّد ضربة قوية من خنجره إلى الجانب الأيمن للرجل ، فهوى على الأثر مطلقًا صرخة مدوية ، وتنبه الآخر لوجود (ممدوح) ، فأخذ يطيح بسيفه فى الهواء ، فى اتجاهه ، وعمد (ممدوح) إلى الانحناء برأسه إلى أسفل وجانبًا ، كلما لمح ومضة السيف المتحرِّك فى الهواء يلمع فى الظلام الدامس ، وكان غريمه يبدو خبيرًا فى القتال ، فى مثل هذا الظلام ، إذ أن ضرباته

كانت قريبة للغاية من رأس (ممدوح) ، حتى أن إحداها مسّت شعر رأسه وأطاحت بخصلات منه ، وحاول القروى مساعدة (ممدوح) ، فهاجم الرجل ذا السيف بطريقة عشوائية ، محيطًا خصره بكلتا يديه ، ليحاول إعاقته عن الحركة ، والتقدم فى اتجاه (ممدوح) ، ولكن الرجل وجه ضربة قوية بسيفه إلى ذراع القروى ، بدا أنها قد أحدثت به جرحًا غائرًا ، إذ أطلق على أثرها صرخة مؤلمة ، وهو يضع يده على ذراعه ، وأدرك (ممدوح) أن الرجل سيجهز على القروى ، لو لم يسرع بمواجهته بأية وسيلة ، ولم يكن الخنجر الذى يحمله كافيًا لتحقيق هذا ، خاصة وأن غريمه يمتلك سيفًا بتارًا ، يجيد استخدامه فى الظلام ، وتعثرت قدماه فى سيف الرجل الآخر ، الذى سقط منه على الأرض ، فسارع بتناوله ، ليصد به ضربة قوية وُجهت إليه من غريمه ، وتلاحم السيفان فى الظلام ، قد نتج عن تلاحمهما صرير عالٍ ، ثم استجمع (ممدوح) كل قواه ، ليضرب سيف خصمه ضربة قوية بسيفه ، أطاحت به أرضًا .

واندفع الرجل إثر ذلك يفر بعيدًا عن مواجهة (ممدوح) ، بعد أن فقد سلاحه ، فى حين تحرَّك (ممدوح) نحو مصدر الآهات ، الصادرة من القروى ، الذى كان يعانى أشد الألم ،

من الجرح الذى أحدثه به الرجل فى ذراعه ، وسأله قائلًا :
ـ هل نزفت كثيرًا ؟
أجابه القروى قائلًا ، وقد خرجت الكلمات من فمه بصعوبة :
ـ ليس هذا مهمًا الآن .. دعنا نغادر هذا المكان ، أوَّلًا ، وبأسرع ما يمكننا فقد انتبهوا إلى وجودنا هنا ، ولابد أن الكثيرين منهم سيسعون للحاق بنا .
وقاد الرجل (ممدوح) مرة أخرى ، ألى أن وصلا إلى شق بين جدارين ، يكاد يكفى لمرور شخص واحد ، إذا ما تحرَّك بأحد جانبيه ، وقال القروى لـ(ممدوح) :
ـ هيا تقدَمنى عبر هذا الشق .. إنه طريقنا إلى الحرية .
واندفع (ممدوح) عبر الشق الموجود بين الجدارين بصعوبة ، وقد تمزقت بعض أجزاء من سترته ، نتيجة أحتكاكها بالجدارين الصلبين ، والقروى فى أثره ، وبعد مسيرة ثلاث دقائق وصلا إلى حجر كبير ، يسد فتحة فى نهاية الجدارين ، فعملا على زحزحته من مكانه بصعوبة ليفتحا أمامهما فجوة صغيرة ، زحفا من خلالها إلى بقعة فى الأدغال .. كانت هى طريقهما إلى الحرية ..
وإلى بداية جولة جديدة .

★ ★ ★

١٢ ـ ساعة المواجهة ..

جلس (ممدوح) داخل الكوخ المعدَ له ، فى القرية الصغيرة ، التى قاده إليها القروى ، وجلس قبالته زعيم القرية ، والتف حوله بعض شبابها ، ومن بينهم القروى الذى ساعده على الهرب من المعبد ، وقال زعيم القرية :
ـ أأنت مصر على العودة لمواجهة الكاهن وأعوانه مرة أخرى ؟
(ممدوح) :
ـ نعم فأنا لم أحقق الهدف ، الذى جئت من أجله إلى (ريجونا) بعد ، وهو إنقاذ الدكتور (فؤاد) ، من أيدى ذلك الشيطان وأعوانه ، ولا بد لى من العودة إلى الموقع ، الذى حدَّده الكاهن لمبادلة العالم المصرى بالأيقونة ، والعمل على إنقاذه ، فأنا واثق أنه لن يدعه حيًا ، حتى بعد الحصول على الأيقونة .
سأله زعيم القرية :
ـ وهل تعرف الموقع ، الذى ستتم عنده المبادلة ؟
(ممدوح) :

ـ مع الأسف لا ، ولكنى سأعمل على معرفة ذلك .

وعلى الفور ، قال القروى الذى ساعده على الهرب :

ـ أنا أعرف .. لقد سمعته يحدِّده للفتاة ، أثناء وجودى فى المعبد .

قال زعيم القرية :

ـ حسنًا .. سأضع ثلاثين رجلًا ، من أهالى القرية ، تحت إمرتك ، للذهاب معك ، والعمل على مساعدتك فى مهمتك .

ونظر إليه (ممدوح) بدهشة ، قائلًا :

أنا أشكركم بالطبع ، لإبداء الاستعداد لمساعدتى على هذا النحو ، ولكنكم تعلمون أن فى هذه المساعدة مخاطرة كبيرة ، حرصتم على تجنبها لسنوات عديدة ..

قال زعيم القرية :

ـ لم يعد هناك مجال للخوف بعد اليوم .. كنا نأمل فى تحيُّن الساعة المناسبة ، التى يمكننا فيها أن نقاتل ذلك الكاهن وأعوانه ، بعيدًا عن معبده الشيطانى ، حيث يحتمى بدهاليزه وممراته السرية ، ولن نجد أفضل من هذه الفرصة لمواجهته ..

لقد ذقنا الويلات على يد ذلك الشيطان وزبانيته .. تعرضنا للنهب والسلب والقتل والتنكيل على أيديهم ، وكان ذلك مقبولًا

من جانبنا فيما مضى ، عندما كنا نعيش حياة وثنية ، أما بعد أن هدانا الله إلى الإسلام ، على يد الشيخ (عبد الله) ، فقد قررنا أن نقود بقية الأهالى فى القرى المجاورة ، ورجال القبائل فى الأدغال ، للتمرّد على ذلك الكاهن ومحاربته ، ولكن فى الوقت واللحظة المناسبة ، والآن حانت ساعة الجهاد ..

إن الثلاثين رجلًا ، الذين سيصحبونك ، لن يكونوا هم وحدهم المتصدين للكاهن وأعوانه ، بل إنهم سيكونون فى الطليعة فقط ، وسيتبعهم جميع أهالى القرى ؛ للقضاء على معقل الشر ، الذى يمثله ذلك الشيطان (جوس) .

(ممدوح) :

ـ ألا تدعون ذلك للسلطة الحاكمة فى (ريجونا) ؟.. إنها مهمة تحتاج إلى رجال أمن مدربين ، ولا يقوى عليها الأهالى البسطاء .

رد عليه زعيم القرية ، قائلًا :

ـ نحن لا نثق برجال السلطة الحاكمة ، فهم لا يقلون شرًا عن الكاهن وأعوانه ، كما أننا لم نضع الأشهر السابقة هباءً .. لقد تدربنا على حمل السلاح ، ولدينا مخازن سرية هنا ، نحتفظ فيها بذلك السلاح ، الذى أشتريناه بأموالنا ، من أجل هذا الهدف .

(ممدوح) :

- يبدو أنكم أعددتم للأمر عدته ، وإن كنت أرجو ألا يؤدى هذا الذى تنوون القيام به ، إلى ارتكاب أى خطأ ، يؤدى إلى إلحاق الأذى بالدكتور (فؤاد) ، أثناء عملية المبادلة .

قال زعيم القرية :

- تأكد أننا سنحرص على ذلك ، ولذا سنجعلك أنت تقودنا فى ساعة الصفر .

ونظر إليه (ممدوح) بدهشة ، قائلًا :

- أنا ؟

ابتسم زعيم القرية قائلًا :

- نعم .. نحن كما ترى قرويون بسطاء ، وأنت لديك الخبرة الكافية فى أمور كهذه .. إننا نهدف إلى تخليص هذه المنطقة من سلطان الكاهن وأعوانه ، ويهمنا ألا تقع تلك الأيقونة السحرية فى يده بأية وسيلة ، حتى لا تزيد من قوته السحرية ، فبدونها يضعف الكاهن تدريجيًا .. وحسب ما يتردد حوله هنا ، فإنه بدون الأيقونة تكون ممارسة الكاهن لسحره على حساب قدراته الجسمانية ، التى تنزلق إلى حالة من الضعف والوهن ، قد تؤدى به إلى الموت ، إذا ما تمادى فى قدراته السحرية ، فبدون الأيقونة إما أن يتوقف عن ممارسته للسحر تمامًا ، وفى هذه الحالة يفقد تميزه حتى أمام

أعوانه ، الذين يخلصون له خوفًا من سحره ، وإما أن يستمر فى ممارسة هذا السحر معرِّضًا نفسه لأخطار جسمانية ، قد تنتهى به إلى الموت ، وهذا هو سبب حرصه على استرداد هذه الأيقونة بأى ثمن .

(ممدوح) :

- هذا يفسر حالة الإعياء والألم الشديدين ، اللذين ظهرا على وجهه ، عندما أراد أن يسلِّط علىَّ ألعابه السحرية فى معبده ، قبل أن أسعى للهرب .

زعيم القرية :

- نعم إنه يضعف تدريجيًا فى كل مرة ، يؤتى فيها عملًا من أعمال السحر ، بدون الأيقونة ، فضلًا عن أن قدراته السحرية نفسها تضمحل ، ولكن تبقى جذور الشر المحيطة به ، تمثل خطرًا على المنطقة بأسرها ، والتى تتمثل فى أعوانه ، الذين يدينون له بالإخلاص ، وينشرون الرعب والشرور بين الأهالى ، لذا سنعمل معك على عدم وقوع الأيقونة الصفراء فى يد الكاهن مرة أخرى ، وفى القضاء عليه وعلى أعوانه .

(ممدوح) :

- وأنا سأشرح لكم ما يتعين علينا عمله .

وبدأ يشرح خطته .

★ ★ ★

فى الموعد المحدود للمبادلة ، كان (ممدوح) وثلاثة عشر رجلًا من أهالى القرية ، قد اتخذوا مواقعهم ، مختبئين فى المنطقة الدغلية الكثيفة ، المحيطة بالمكان ، وقد استقر كل منهم بين فروع الأشجار المتشابكة ، وبين الحشائش الكثيفة العالية ومعه سلاحه ، ثم ظهرت (ماريا) ، وبصحبتها شخصان ، ومعها صندوق من القطيفة الزرقاء ، وعلى مسافة عشرة أمتار منها ظهر الكاهن ، وبصحبته أربعة من أعوانه ، وشخصان تغطى وجهيهما الأقنعة السوداء ، وهتفت الفتاة قائلة للكاهن ، وهى ترفع علبة القطيفة عاليًا :

ـ هأنذا قد وفيت بوعدى معك ، وأحضرت لك الأيقونة .

قال الكاهن ، وهو يضع يديه على كتفى الرجلين ، الذين يُخفى وجهاهما تحت الأقنعة السوداء :

ـ وأنا أيضًا أوفيت بوعدى ، وأحضرت لك المصريين .

قالت ، وهى تنظر إلى الرجلين المقنعين بشك :

ـ حسنًا .. اكشف وجهيهما أوّلًا :

نزع الكاهن القناعين عن وجهى الرجلين ، وهو يحدج الفتاة بنظراته قائلًا :

ـ ها هما .

واندهش (ممدوح) لقناعة الفتاة بذلك ، فقد كان وجها الرجلين يختلفان عن الدكتور (فؤاد) وعنه هو بالطبع ، واستنتج من ذلك أنه عمد إلى التأثير عليها بسحره ، لإفهامها أن هذين الشخصين هما (ممدوح) والدكتور (فؤاد) ..

وقال لها الكاهن ، وهو ما يزال واقفًا فى موقعه :

ـ والآن دعينى أرى الأيقونة فى يدك .

فتحت الفتاة علبة القطيفة ، وهى تتناول منها الأيقونة ، لتلوّح بها أمام الكاهن الذى التمعت عيناه ، وهو ينظر إلى الأيقونة ، وقالت :

ـ ها هى ذى .. والآن دع الرجلين يتقدمان فى اتجاهى ، فى نفس اللحظة التى سأرسل لك فيها الأيقونة مع زميلى .

وأشار لها الكاهن بالموافقة ، فترك الرجلين يتقدمان نحو (ماريا) وزميلها فى حين تحرك زميلها الآخر حاملًا الأيقونة ، فى اتجاه الكاهن .

وفجأة هتف (ممدوح) من بين الأشجار :

ـ (ماريا) .. لا تسلميه الأيقونة .. إنه يخدعكم بسحره فالرجلان من أعوانه .

وتحوّل انتباه الجميع نحو مصدر الصوت ، فى حين اكتسى

وجه الكاهن بملامح الغضب ،وحدّقت (ماريا) جيدًا فى الرجلين القادمين نحوها ، وهى تصيح قائلة :

ـ هذا حقيقى .. إنهما ليسا الدكتور (فؤاد) ، ولا المقدم (ممدوح) .

وقبل أن ينتبه الرجل ، الذى يحمل الأيقونة ، لما حدث ، كان أحد الرجلين المزيفين قد أظهر أنبوبًا صغيرا بين شفتيه ، كان يخفيه فى فمه ، ونفخ فيه بقوة ، ليخرج منه سهم رفيع ، فى حجم الإبرة الصغيرة ، ولكنه ملوث بسم فتاك ، ليستقر فى عنق الرجل ، فيصرعه على الفور ، فى حين اندفع الشخص الآخر ليتناول الأيقونة الملقاة على الأرض وأخرجت (ماريا) وزميلها مسدسيهما ، حيث أطلقت رصاصة سريعة نحو الرجل ، الذى حاول التقاط الأيقونة من على الأرض ، فأردته صريعًا ، فى حين اندفع زميلها ، وهو يصوب رصاص مسدسه نحو الرجل الآخر ؛ لاسترداد الأيقونة ، ولكن رصاصة جاءته من مكان مجهول أردته قتيلًا ، قبل أن ينجح فى الوصول إليها ، واندفع الشخص الآخر لالتقاط الأيقونة سريعًا ، راكضًا بها فى اتجاه الكاهن ، ولكن سُرعان ما ظهر عدد من رجال القوات الخاصة ، فى المكان ، لمساندة (ماريا) ، ولم يُحدث ذلك أى أثر على وجه الكاهن ، الذى ارتسمت على شفتيه تلك الابتسامة الخبيثة ، وهو يهتف قائلًا :

ـ كنت أتوقع ذلك ، وأشار بيديه عدة إشارات ، ظهر على أثرها عدد من رجاله أيضًا ، مدججين بالسلاح ، لتحدث مواجهة بينه وبين (ماريا) ، ورجال القوات الخاصة ، الذين جاءوا لمساعدتها فى أداء مهمتها ..

ولكن ما لم يتوقعه الكاهن هو ظهور أولئك الرجال من الأهالى ، الذين يقودهم (ممدوح) ، للتدخل فى المعركة ..

وبرصاصة محكمة ، من مسدس (ممدوح) ، أطاح بالأيقونة من يد الرجل الذى كان يحملها إلى الكاهن فاستشاط الكاهن غضبًا ، وهو يأمر أعوانه بإحضارها ، ولكن الأهالى حالوا بينهم وبين ذلك ، فى حين ركض (ممدوح) سريعًا ، ليتناول الأيقونة من فوق الحشائش ، قبل أن تبلغها يد الكاهن ، ثم ألقى بها وسط كومة من فروع وأوراق الأشجار ، وأشعل فيها النيران .

وأطلق الكاهن صرخة مدوية ، وهو يراه يفعل ذلك ، قائلًا :

ـ لا .. لا تفعل ذلك .. إنك تقضى علىّ .

ولكن (ممدوح) وقف يراقب الأيقونة ، وهى تذوب تدريجيًا بين النيران ، لتتحول إلى مادة ترابية حمراء ، قائلًا :

ـ إننى أقضى على الشر ، الذى زرعته فى هذا المكان .

واندفع الكاهن نحو (ممدوح) ، ووجهه ينطق بكل أمارات الحقد والحنق ، غير عابئ بالمعارك التى تدور حوله ، قائلًا بانفعال :

ـ أنا الذى سأقضى عليك .. سأقضى عليك حتى لو كنت أستنفد بذلك آخر قدراتى السحرية .

وقام بعمل تلك الحركات بأصابع يديه ، وهو يلوِّح بها فى الهواء ، وعينيه مسلطة على النيران التى أحرقت الأيقونة ، فارتفعت ألسنة النيران أمام (ممدوح) لتبدو أمامه فى صورة مارد نارى غير محدود الملامح ، وامتد لسانان من اللهب ، على شكل ذراعى المارد ، وهى تسعى لتبلـغ جسد (ممدوح) ، الذى تراجع خطوتين إلى الوراء ، ولكنها استمرت فى الزحف نحوه ، وجثا (ممدوح) على إحدى ركبتيه ، ليتبيَّن وجه الكاهن من خلف ذلك المارد النارى ، الذى هيأه له بسحره ، وسرعان ما أطلق رصاصة محكمة التصويب لتستقر فى رأس الكاهن ..

وانطلقت صرخة لم يسمع بها (ممدوح) من قبل طوال حياته ، من الكاهن الذى تهاوى على الأرض صريعًا ، وقد

تحوَّل جسده إلى زرقة كاملة ، فى حين اختفى المارد النارى فور موته ، ولم يعد له وجود ..

والتف الأهالى حول (ممدوح) مهللين ، فقد أنقذهم من طاغية الشر ، الذى ظل يحكم هذه المنطقة لفترة طويلة ، ولم يعد للكاهن وجود ، لكن (ممدوح) بدا منشغلا عنهم ، وهو يتساءل قائلًا :

ـ أين (ماريا) ؟

قال أحدهم :

ـ لقد اختفت هى ومن معها من المكان ، ولكننا حسمنا المعركة ، فقد قضينا على عدد من أعوان الكاهن ، وأسرنا البعض الآخر .

(ممدوح) :

ـ ولكن الدكتور (فؤاد) ما يزال سجينًا فى ذلك المعبد ، وعلىَّ أن أعمل على إنقاذه .

واندفع يركض فى اتجاه المعبد ، وخلفه بعض الأهالى ، فى حين عاد البعض الآخر إلى القرية ، ومعهم الأسرى من أعوان الكاهن ، فالمعركة لم تنته ..

لم تنته بعد .

★ ★ ★

١٣ ـ لعبة الأشرار ..

وصل (ممدوح) إلى المعبد ليجده محاطًا بعشرات من رجال القوات الخاصة ، فى حين كان هناك عشرات آخرون قد نجحوا فى اقتحامه ، لتدور معركة حامية الوطيس ، بين رجال الكوماندوز وأعوان الكاهن ، وقال (ممدوح) وهو يرى ذلك المشهد :

ـ يبدو أن (ماريا) كانت قد أعدت للأمر عدته ، وكل ما أخشاه هو أن يتعرض الدكتور (فؤاد) للخطر ، فى أثناء التصارع بين هذين الفريقين المتحاربين .

وكان زعيم القرية رابضًا بين الأشجار الكثيفة المتشابكة ، المحيطة بالكهف المؤدى إلى المعبد ، إلى جوار (ممدوح) ، ومعهما ذلك القروى ، الذى ساعده على الهرب من المعبد ، وقال له زعيم القرية :

ـ هل تريد أن نعلن عن وجودنا بدورنا ، فى هذه المعركة ؟

(ممدوح) :

ـ كلا .. ليس الآن .. بل أريد وسيلة للتسلل داخل المعبد ، دون أن أضطر إلى المرور أمام هؤلاء الجنود .

همس القروى فى أذنه ، قائلا :

ـ أنا أعرف الوسيلة ، التى تجعلك تتسلل إلى هناك .

(ممدوح) :

ـ حقًّا .

ابتسم القروى ، قائلًا :

ـ هل نسيت أننى أنا الذى ساعدتك على الهرب ، عبر ممراته السرية ؟ إننى أستطيع أن أقودك أيضًا إلى المكان ، الذى يسجنون فيه العالم المصرى ، ما لم يكن أحدهم قد وصل إليه قبلنا .

هتف (ممدوح) ، قائلا :

ـ إذن فيم انتظارنا .. دعنا لا نضيع الوقت .

ونجح مع رفيقه فى التسلل داخل المعبد مرة أخرى ، عبر تيه الممرات السرية ، وأشار له القروى على مجموعة من الغرف الحجرية المتلاحقة ، قائلًا :

ـ كان العالم المصرى مسجونا فى إحدى هذه الحجرات .

اتجه (ممدوح) نحو إحداها ، قائلًا :

ـ إنها هذه الحجرة ، فقد جاء بى الكاهن إليها من قبل ، حيث كان الدكتور (فؤاد) مسجونًا ، ولكن ما إن وصلا إلى الحجرة المطلوبة ، حتى وجدا ثلاثة من أعوان الكاهن يسبقونهم إليها ، شاهرين أسلحتهم ، وقال أحدهم وهو يفتح باب الحجرة بمفاتيح معه :

ـ لا تدعوه يفلت من أيديكم .. إنه وسيلتنا الوحيدة

للنجاة ، فلن يجرؤ أحدهم على التصدى لنا ، طالما نحتفظ بهذا الرجل .

ولكن (ممدوح) شهر سلاحه فى وجوههم ، قائلًا :

ـ عفوًا أيها السادة ، فأنا سأتصدّى لكم .

وقبل أن تنطلق رصاصات أسلحتهم ، كان (ممدوح) قد أرداهم جميعًا قتلى فى الحال ، بثلاث رصاصات سريعة ودقيقة التصويب ، ثم دخل إلى الحجرة ، ليجد الدكتور (فؤاد) فى حالة شديدة من الإعياء ، وقد جلس فى أحد أركانها ، فساعده على النهوض قائلًا :

ـ دكتور (فؤاد) هل تقوى على السير ؟

نظر إليه الدكتور (فؤاد) بعينين مرهقتين ، قائلا :

ـ أنت مرة أخرى .

(ممدوح) :

ـ نعم .. وهذه المرة ستهرب معى خارج هذا المعبد .

قال له الدكتور (فؤاد) ، وقد بدت على ملامحه سمات اليأس :

ـ هل أنت واثق أننا سننجح هذه المرة ؟

(ممدوح) :

ـ نعم .. والآن هل أنت قادر على السير معى ؟

قال الرجل ، وقد عادت إلى وجهه ملامح الأمل والتفاؤل :

ـ نعم .

(ممدوح) :

ـ إذن .. هيا بنا .

وانطلق الثلاثة عبر الممرات نفسها ليغادروا المعبد ، ولكن ما إن خطت أقدامهم إلى الخارج ، حتى وجدوا أنفسهم محاطين برجال القوات الخاصة من كل جانب ، وقد توسطتهم (ماريا) ، التى ابتسمت قائلة :

ـ شكرًا لك يا سيادة المقدَم ، فقد فشل رجالنا فى العثور على مكان الدكتور (فؤاد) ..

مهمتك انتهت هنا .

سألها (ممدوح) :

ـ ماذا تعنين ؟

عقدت (ماريا) ذراعيها أمام صدرها ، وهى تتقدم نحوه قائلة :

ـ أعنى أن الدكتور (فؤاد) قد أصبح من اختصاصنا الآن .

ابتسم (ممدوح) بسخرية ، قائلا :

ـ فهمت .. لقد كان كل هدفك ، من مشاركتى هذه العملية ، هو الوصول إلى الدكتور (فؤاد) .. أليس كذلك ؟

(ماريا) :

ـ تمامًا .

(ممدوح) :

ـ ثم أسره لحساب النظام الحاكم هنا .. أى بدلًا من أن يكون سجينًا لدى الكاهن ، يصبح سجينًا لدى الجنرال (خوزيه) .

قالت (ماريا) باستخفاف :

ـ لماذا تستخدم هذه العبارات ؟. أسيرًا سجينًا .. إنه سينضم إلى مجموعة العلماء العاملين فى هيئة العلوم العسكرية ، التابعة للجنرال (خوزيه) ، وسيسهم بأبحاثه وخبراته فى تصنيع عدد من الصواريخ ، المحملة برءوس نووية ، وفى مقابل ذلك ستوفر له كل أسباب الرفاهية والحياة الرغدة ، ولكن بالطبع لن يكون مسموحًا له بمغادرة (ريجونا) ، بل لن يكون مسموحًا له بالابتعاد عن مناطق معينة ..

لقد كان هدفنا هو الوصول إلى الدكتور (فؤاد) حيًّا والمحافظة عليه سليمًا ، قبل أن يقتله الكاهن ، لنضمَّه إلى هيئتنا العلمية ، وتضمنت خطتنا أيضًا الخلاص من الكاهن وأعوانه ، بعد أن نلصق به تهمة القضاء على العالم المصرى ، وعليك أنت أيضًا .

قال (ممدوح) ، وهو مستمر فى سخريته :

ـ هل كنتم تنوون ضمى أنا أيضًا إلى هيئتكم العلمية الموقرة ؟

قالت (ماريا) مبتسمة :

ـ بل إلى جهازنا الأمنى لو أردت ، فرجل له مثل خبراتك ، سيكون مفيدًا لنا بلا شك ، والجنرال (خوزيه) بحاجة لكل رجل ذى كفاءة .

(ممدوح) :

ـ وإذا رفضت .

(ماريا) :

ـ لاشىء .. سنقتلك فقط ، ثم نعيدك فى تابوت إلى بلدك ، ونحن نعلن تعازينا وأسفنا ؛ لأننا لم ننجح فى إنقاذك قبل أن يقضى الكاهن وأعوانه عليك ، أما عن الدكتور (فؤاد) فسنقول إننا لم نعثر له على أثر ، وأن استجوابنا لأعوان الكاهن ، الذين تم أسرهم ، لم يسفر عن تحديد مكانه ، وعمّا إذا كان حيًّا أو ميتًا .

(ممدوح) :

ـ خطة محكمة .. لقد أردتم منذ البداية أن يحمل عنكم الكاهن وأعوانه كل أوزار الجنرال (خوزيه) وأوزاركم .

(ماريا) :

ـ هذا ما جعلنا نحجم عن مهاجمة الكاهن وأعوانه حتى الآن ، فقد كان من السهل التخلّص من بعض الأشخاص غير المرغوب فيهم ، وإلصاق تهمة القضاء عليهم إلى الكاهن وزبانيته ، دون توجيه لوم إلى الحكومة والنظام الحاكم ، وما دام ذلك الكاهن الشرير لديه رصيد لا بأس به من الشر

والجرائم ، فلا بأس من استغلاله ، وإضافة بعض الأعمال الضرورية الأخرى ، التى ننفذها لحساب الجنرال (خوزيه) ، إلى رصيده ، ولكن بالنسبة لوجود الدكتور (فؤاد) فالأمر أصبح يحتم ضرورة التصدى للكاهن ، واستخلاص الدكتور (فؤاد) من بين يديه بأية وسيلة ، كما أن الأوان قد آن للتخلص من نفوذه هنا .

(ممدوح) :

- لقد أيقنت أن لك دورًا خفيًا فى هذه اللعبة ، عندما وجدتك تتحدثين بثقة عن إعادة الأيقونة ، ثم عندما رأيتك تلوحين بها أمام الكاهن ، الذى بدا من وميض عينيه أنه تعرّفها ، وأنها الأيقونة الحقيقية ، وليست مجرد أيقونة زائفة ، وهذا يعنى أن أحد أعوانك هو الذى استولى على هذه الأيقونة ، من السفارة المصرية ليلة اختفائها ، وأنه احتفظ بها فى مكان ما ، لحساب الجنرال (خوزيه) .

(ماريا) :

- تمامًا .. كان الهدف فى البداية هو مساومة الكاهن ، للعمل لحساب الجنرال (خوزيه) ، فى مقابل الأيقونة ، ولكننا لم نكن متأكدين من إخلاصه للجنرال ، وأنه من الممكن أن يعمل على تحديه واستغلال نفوذه فى الأدغال ، والمنطقة

المحيطة بها ضده ، بعد استرداد الأيقونة ، خاصة وأن الكاهن كان يكره أن يخدعه أو يتحداه أحد ، وعندما قام أعوان الكاهن باختطاف الدكتور (فؤاد) قررنا مساعدتك فى التحرى عنه ، والتوصّل إليه ، ثم اللعب بالأيقونة السحرية التى فى حوزتنا ، كورقة أخيرة ، فى حالة الفشل فى تهريب الدكتور (فؤاد) من ذلك المعبد .. والآن ما قولك ؟.. أأنت موافق على الانضمام إلينا ، أم تفضل العودة إلى بلادك فى تابوت ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

- وهل يحتمل الأمر التفكير .. إننى موافق بالطبع ، فأنا أكره التوابيت ؟

ابتسمت (ماريا) قائلة :

- هذا حسن ، فأنا أفضل ذلك ؛ لأننى معجبة بك بالفعل ، وأتمنى أن نعمل معًا .

ولكن الدكتور (فؤاد) قال بانفعال :

- أما أنا فأرفض العمل معكم ، مهما كان الأمر ، حتى لو أدى الأمر لموتى .

ولكن (ماريا) قالت إليه بحزم :

- أنت شخص ثمين لدينا يادكتور (فؤاد) ولن نسلمك للموت بهذه السهولة ، بعد كل المتاعب التى تجشمناها فى سبيل الوصول إليك ، ولكن لدينا وسائل أخرى ؛ لإجبارك على العمل معنا .

ونظرت إلى قائد القوات الخاصة قائلة :

ـ والآن هيا .. دعنا نرحل من هنا .

سألها (ممدوح) :

ـ هل أستطيع أن أدخن سيجارة ؟

ابتسمت قائلة :

ـ بالطبع يا عزيزى .

وتناول (ممدوح) علبه سجائره ، التى أسرع أحد رجال القوات الخاصة بتناولها منه ، وهو يفحصها بعناية ، ثم أعادها إليه ، بعد أن تأكد من خلوها مما يريب ، وابتسم له (ممدوح) قائلا :

ـ هل تريد سيجارة ؟

ولكن الرجل قال بصرامة ، وقد شعر بشىء من الضيق لابتسامته الساخرة :

ـ كلا .. ولكن أسرع الخطا ، فنحن نريد مغادرة هذا المكان خلال ساعة واحدة .

أشعل (ممدوح) سيجارته ، ثم أخذ منها نفسًا واحدًا ، ووضعها بين أصابعه ، المرفوعة إلى أعلى فانطلق منها دخان أزرق ، فى خط عمودى ، ارتفع إلى أعلى بسرعة ، فقال الجندى الذى يتبعه ، وهو ينظر إلى دخان السيجارة فى دهشة :

ـ دخان سيجارتك غريب للغاية .

قال له (ممدوح) ، وهو ما يزال محتفظًا بابتسامته :

ـ بالطبع .. فهو ليس مجرد دخان سيجارة عادية إنها إشارة متفق عليها .

ازدادت دهشة الجندى ، وهو يردِّد قائلًا :

ـ إشارة .

(ممدوح) :

ـ نعم .. انظر فوق رأسك .

نظر الجندى إلى أعلى ، ليرى عشرات الرءوس تطل عليه من بين الأشجار ، وعشرات الأسلحة المصوَّبة إليه وإلى زملائه من كل صوب ، ومن كل جانب ، وقالت (ماريا) :

ـ ما هذا ؟

(ممدوح) :

ـ إنهم الأهالى البسطاء ، ممن لم يضعهم الجنرال (خوزيه) فى حسابه ، وهو يضع خطته ، وهم لن يسمحوا لكم بمُغادرة هذا المكان ، بأى حال من الأحوال ، ومعكم الدكتور (فؤاد) أسيرًا .

وعلى الفور ظهر من بين الأشجار ، من كل جانب ، المزيد من أهالى القرى ورجال القبائل ، ليقطعوا عليهم الطريق من الأمام والخلف ، ومن فوق رءوسهم بين الأشجار الكثيفة ، وتحت أقدامهم بين الحشائش العالية ..

كان عددهم يقدر بالمئات ، وهم مزودون بجميع أنواع الأسلحة ، بدءًا من المُدى إلى المدافع الآلية ..

وقال (ممدوح) :

ـ كما قلت من قبل : فإننى لم أثق بك وبرجالك ، واعتمدت على الغضب المكتوم فى صدر هؤلاء الأهالى ، ومن البسطاء الساخطين على الكاهن وأعوانه ، وعلى الجنرال (خوزيه) وعليكم ، لكل ما ألحقتموه بهم من أذى ومتاعب ، لمساعدتى فى مهمتى ..

والآن الخيار لك ولرجالك .. إما أن تخوضوا حربًا غير متكافئة ، مع هؤلاء الثائرين ، خاصة بعد أن تناقص عدد رجالك ، من جراء قتالهم مع أعوان الكاهن ، وإما أن تنسحبى أنت ورجالك فى هدوء ، وسوف أعمل على إقناعهم بترككم لتعودوا سالمين ، ويمكنك أن تخترعى أنت وهؤلاء الأشخاص قصة ما للجنرال (خوزيه) تخبريه بها أنكم لم تنجحوا فى الوصول إلى الدكتور (فؤاد) قبل موته ، وأن الكاهن وأعوانه قد قضوا عليه وعلىّ قبل أن تقتلوه ، وسيعد الخلاص منه عذرًا مخففًا لك أمام الجنرال .. قد ينتهى الأمر بفصلك من العمل ، ربما توجيه بعض اللوم على إخفاقك فى تحقيق النجاح الكامل لمهمتك ، ولكنه على كل حال سيكون أفضل من الموت على أيدى هؤلاء الثائرين .

وهمس لها قائد مجموعة الجنود التى تصاحبها ، قائلًا :

ـ إننى أرى أن هذا هو الرأى الأصوب ، فلن نستطيع التصدى لكل هؤلاء الرجال .

قالت (ماريا) ، وهى تهز رأسها :

ـ حسنًا .. إننى أعترف بالهزيمة وأريد الانسحاب .

وأطلق (ممدوح) إشارة معينة بيده ، فأفسح الرجال المسلحون لها ولمن معها الطريق ، بعد أن طلبوا منه إلقاء أسلحتهم ، وواصلت (ماريا) ، ورجال القوات الخاصة طريقهم ، إلى حيث توجد السيارات ، التى تنتظرهم لتقلّهم إلى العاصمة ، فى حين عاد (ممدوح) والدكتور (فؤاد) إلى القرية التى وضع فيها خطته ، وبمساعدة بعض أهالى القرية تمكن (ممدوح) من عبور الحدود ، إلى إحدى دول أمريكا اللاتينية المجاورة ، وبصحبته الدكتور (فؤاد) ، ومن هناك استقل الطائرة العائدة به إلى (القاهرة) ، بعد أن نجح فى تنفيذ مهمته ..

واستعاد (ممدوح) خلال جلوسه فى الطائرة تلك الأحداث الأخيرة ، التى مرت به خلال مغامرته فى (ريجونا) ، وهو يتساءل قائلًا :

ـ تُرى أية قوة سحرية تلك ، التى كان يمتلكها ذلك الكاهن ؟.. وهل كانت قوة حقيقية أم مجرد خداع بصرى ؟

ثم أغمض عينيه ، قائلًا :

ـ على كل حال .. فأنا أعتقد أنى لن أكون مستعدًا لرؤية

أية ألعاب سحرية أخرى ، لعدة سنوات طويلة قادمة ، سواء فى السيرك أو عبر شاشة التليفزيون ، بعد كل ما رأيته من ذلك الكاهن فى (ريجونا) .

قالها وابتسم ، وأغلق عينيه ..

ونام .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة ــ تليفون : ٨٢٦٦٢٨٠

المؤلف



أ. شريف شوقى

الأيقونة الصفراء

وتلاحم السيفان فى الظلام ، وقد نتج عن تلاحمهما ضريرًا عاليًا ، ثم استجمع (ممدوح) كل قواه ؛ ليضرب سيف خصمه ضربة قوية بسيطة ، أطاحت به أرضًا .

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

٥٦

العدد القادم
الملف السرى

الثمن فى مصر ١٠٠ ص وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم